

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

المؤتمر العالمي عن النبي محمد - ﷺ - وحقوقه على البشرية

الجامعة الإسلامية

المحور الثاني: النبي محمد - ﷺ - وإرساء المبادئ والقيم الإنسانية العامة

الفقرة الرابعة: مبدأ الحوار وقبول الآخر كما أقامه النبي محمد - ﷺ - وعمل به.

د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي

أستاذ مشارك: عقيدة ومذاهب معاصرة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - ﷺ - وعلى أصحابه واتباعه ومن تبعهم إلى يوم الدين أما بعد

فإن الحوار يمثل عصب الحياة الإنسانية، منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويظل المطلب الأول لكل البشرية بشتى اللغات واللهجات، ومن خلاله يكون التعرف على آراء الآخر وميوله النفسية، فقد عُرفت الحكمة الشهيرة (تكلم حتى أعرفك) لذا يسعى الجميع إلى إعداد الوسائل المختلفة للتواصل، وتهذيبها على أحسن وجه، وتعمل الدراسات الاجتماعية والنفسية والثقافية على الكشف عن أفضل أنماط إدارة الحوار لإنجاح العلاقات الإنسانية، وإيجاد فرص أقوى للتواصل في عالم تشابكت فيه العلاقات، وارتبطت المصالح، وأصبح من المستحيل أن ينغزل جزء من العالم عن الآخر، وبات قبول الآخر والانفتاح الفكري عليه ضرورة للتعايش، لذا كان واجباً علينا أن نبحث عن صور مثلى نقندي بها ونسير على هديها، وإذا بديننا الحنيف ورسالة نبينا محمد - ﷺ - السمحة تنضوي على أفضل نماذج يمكن أن يهتدي بها البشر في كل زمان ومكان، فقد ختمت النبوات بمحمد - ﷺ - وقد وعى قلبه التجربة الإنسانية في الدعوة والبلاغ كاملة، وتلقى قلبه القرآن العظيم، وفيه خلاصة التجارب السوية والمصطفى من الحكمة البشرية، والنقى من الأفكار السوية، وما انتهاج النبي - ﷺ - الحوار مسلكاً، واختياره المجادلة بالحسنى سبيلاً أساسياً في الدعوة إلا دليل على تمكنه، وكمال نفسه، وسعة أفقه وحسن إدراكه - ﷺ - فلذا فإن الحديث عن الحوار النبوي ذو شجون، لأن كل حوار من حواراته مشحون بالمبادئ السامية والأساليب المبدعة، التي تستفيد منها الأمم كلها، ومن هنا كان اختيار هذا الموضوع (مبدأ الحوار وقبول الآخر كما أقامه النبي محمد - ﷺ - وعمل به).

أسباب اختيار الموضوع:

١. يُعد الحوار اليوم أحد الأدوات الحضارية للمجتمعات المعاصرة، إذ تعددت أساليب الحصول على المعلومات، وتنوعت الأفق المعرفية، واختلفت المشارب والاتجاهات الثقافية والفكرية، فلا بد من إظهار نبوغ النبي - ﷺ - في حواراته ومجادلاته بالحسنى.
٢. إن الحوار والمجادل بالحسنى يؤلف القلوب، ويقرب المسافات، ويؤدي إلى إشاعة مفاهيم التنوير المعرفي والتبادل الثقافي.
٣. إن العالم الذي نعيش فيه اليوم يتطلب منا الحوار مع أنفسنا أولاً، والحوار مع الآخر ثانياً لكي نصل إلى رؤية إنسانية مشتركة، قادرة على نقل سماحة ديننا، وإيصال عظمة حضارتنا اللتين تأسستا على مبادئ الحق والعدل والمساواة.
٤. التعرف على الأساليب النبوية والوسائل التي كان يستخدمها - ﷺ - في محاوراته، والتي قد لا يعرفها بعضهم إلا من خلال النظام الديمقراطي.

أهداف البحث:

١. التعرف على أهمية الحوار في السنة النبوية.
٢. تسليط الضوء على بعض أفكار المناوئين للدين الإسلامي.
٣. توضيح بعض الجوانب الأساسية في الحوار النبوي.

منهج البحث:

اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الآتي:

١. الاعتماد بعد التوكل على الله - تعالى - على المنهج الاستقرائي قدر الاستطاعة في جمع المادة العلمية مع المنهج الموضوعي لملائمته لمفردات البحث.
٢. إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، إذ المقصود معرفة صحته، أما إذا كان في غيرهما فقد أذكر أكثر من مصدر.
٣. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.
٤. عزو الحديث يكون بالكتاب والباب والجزء والصفحة، أو رقم الحديث على حسب المصدر المنقول منه.
٥. القيام بشرح الألفاظ الغريبة.
٦. عند تغيير الطبعة المعتمدة أشير إلى ذلك في الحاشية.
٧. ذكر بيانات المصدر أو المرجع كاملة في فهرس المصادر والمراجع (اسم الكتاب - اسم المحقق أو المصحح أو المعلق أو المقدم إن وجد - دار النشر - بلد النشر - رقم الطبعة - تاريخ الطبعة) وإذا لم توجد جميع هذه المعلومات فالإكتفاء بما وجد.
٨. تذييل البحث بفهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

خطوات البحث: يحتوي البحث على مقدمة وأسباب اختيار الموضوع وأهدافه ومنهج البحث وخطته، ومبحثين وخاتمة وفهرس.

المبحث الأول: الحوار النبوي (المبادئ والأساليب) وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح.
- المطلب الثاني: تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح.
- المطلب الثالث: تأصيل الحوار في دعوة النبي - ﷺ -.
- المطلب الرابع: تعرفه - ﷺ - على أطراف المتحاورين، ومراعاة أحوالهم.
- المطلب الخامس: الهدف من الحوارات النبوية.
- المطلب السادس: المبدأ الأساس للحوارات النبوية.

المطلب السابع: مظاهر أخلاقيات الحوارات النبوية.

المطلب الثامن: حريات ضمنتها الحوارات النبوية.

المبحث الثاني: نماذج حوارية من سيرة النبي - ﷺ - وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حوار النبي - ﷺ - مع المشركين، وأثر ذلك في قبولهم.

المطلب الثاني: حوار النبي - ﷺ - مع أهل الكتاب، وأثر ذلك في قبولهم.

المطلب الثالث: حوار النبي - ﷺ - مع الأمم المتحضرة، وأثر ذلك في قبولهم.

المطلب الرابع: حوار النبي - ﷺ - مع القتلة، وأثر ذلك في قبولهم.

المطلب الخامس: دعوة المنصفين من غير المسلمين إلى نشر هذه الجوانب المشرقة في حوارات النبي - ﷺ -.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

المبحث الأول: الحوار النبوي (المبادئ والأساليب) وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح:

تعريف الحوار في اللغة: من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء^(١) وحاوٍ يحور حوراً: رجع ومنه قول الله - تعالى - : ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] أي ظن أن لن يرجع إلى ربه^(٢) وتجاوزوا: أي تراجعوا الكلام بينهم، والتجاوز التجاوب^(٣)، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة^(٤)، وبذلك يتضح أن كلمة الحوار في اللغة تدور حول المعاني الآتية: الرجوع إلى الشيء وعن الشيء، والتحول من حال إلى حال، والإجابة والرد، والاستنطاق ومراجعة الحديث، يقول الله - تعالى - : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١] والمراد به في الآية: تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد^(٥).

الحوار في القرآن الكريم: كلمة الحوار في القرآن الكريم لم ترد مصدراً وإنما وجدت مشتقاتها بالمعاني الآتية: مراجعة الكلام والمجاوبة^(٦) يقول الله - تعالى - : ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] ويقول أيضاً: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، أما المعنى الآخر: التراجع في الكلام، يقول الله - تعالى - : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ

(١) لسان العرب (١٨٢/٢-١٨٣).

(٢) الصحاح في اللغة (٦٣٨/٢).

(٣) القاموس المحيط (١٦/٢).

(٤) لسان العرب (١٨٢/٢-١٨٣).

(٥) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة لزمزمي (١٩).

(٦) زبدة التفسير للأشقر (٧٢٤).

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ [المجادلة: ١] والمراد بها: الله يسمع ما ترجعان به من الكلام^(١)، فلفظ الحوار جاء معناه في القرآن الكريم بمعنى: تراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه^(٢).

الحوار في السنة النبوية: كلمة حوار في السنة لم ترد مصدراً وإنما وردت مشتقاتها فقد جاءت في عدد من الأحاديث منها: يقول الرسول - ﷺ -: (من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه)^(٣) وحار عليه: أي رجع عليه، وقد أوضح ابن حجر - يرحمه الله -: (إن محاورة بالخاء المهملة أي مراجعة)^(٤) وكان الرسول - ﷺ - إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر: أي الشدة والمشقة، وكآبة المنظر: أي تغير النفس من الهم والحزن، والخور بعد الكور أي: الرجوع عن الاستقامة والنقص بعد الزيادة^(٥)، يقول الإمام الترمذي - يرحمه الله -: (ومعنى قوله الخور بعد الكور، وكلاهما له وجه، إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، إنما يعني الرجوع من شيء إلى شيء من الشر)^(٦)، ويقول النووي - يرحمه الله -: (وكذا قال غيره - يقصد الترمذي - من العلماء معناه بالراء والنون معاً الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص)^(٧)، ويقول أبو الدرداء - رضي الله عنه -: (كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر)^(٨) أي تراجعاً في الكلام، فلفظ الحوار جاء معناه في السنة النبوية بمعنى الرجوع ومراجعة الكلام أي بنفس المعاني التي جاءت في القرآن الكريم.

الحوار في الاصطلاح: عُرف الحوار في الاصطلاح بعدد من التعاريف منها:

١. مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين لمعالجة قضية من قضايا الفكر والعلم والمعرفة بأسلوب متكافئ يغلب عليه طابع الهدوء والبعد عن الخصومة^(٩).
٢. مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين^(١٠).
٣. مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة^(١١).
٤. حديث بين طرفين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب^(١٢).

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) كيف تحاور الآخرين للفتيان (٥٢)، وفنون الحوار والإقناع (١٣).

(٣) مسلم كتاب الإيمان - باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم رقم (١٢١).

(٤) فتح الباري (١٦٦/٢).

(٥) مسلم كتاب الحج - باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج رقم (٢٤٧٩).

(٦) الترمذي في الجامع الصحيح كتاب الدعوات - باب ما يقال إذا خرج مسافراً، حديث رقم (٣٤٣٩).

(٧) شرح صحيح مسلم (١٠٤/٩).

(٨) البخاري كتاب تفسير القرآن - باب (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) رقم (٤٣٨٢).

(٩) الحوار مع أصحاب الديانات (٥).

(١٠) الحوار وآدابه وضوابطه (٢٢).

(١١) في أصول الحوار (١١).

(١٢) الأساليب التربوية في القرآن والسنة للمطوع (٩/٤).

٥. زيارة العقول بعضها إلى بعض، والانتقال من زاوية تفكير العقل إلى زاوية التفكير في العقل الآخر، فالحوار يمثل حركة فكرية، واستضافة عقلية بين الإنسان وأخيه الإنسان، ليضيف الحوار بهذه الطريقة معرفة جديدة، أو يصل إلى إنشاء رأي جديد.

الترجيح بين التعاريف: إن التعريف الثاني لا يُقبل حيث إنه خلى من بيان حال المتحاورين من ناحية الأدب ومنهج الكلام، مع عدم توضيحه للسمة العامة للحوار إذ يُفرق عادة بين الحوار والجدال، فالحوار يغلب عليه الهدوء، والثاني يغلب عليه التعصب.

أما التعريف الثالث فهو تعريف لا بأس به إذ وسع دائرة الحوار ليشمل أكثر من اثنين، وأشار إلى أدب الحوار العام وهو الهدوء وعدم الخصومة.

أما التعاريف الأول والرابع والخامس فهي تعاريف مقبولة وقد تكون من أدق التعاريف وأشملها حيث إنها اشتملت على قيم الحوار وآدابه من الرفق واللين، وعفة اللسان، والهدوء والسكينة، واجتناب رفع الصوت، وحسن الاستماع والفهم، واجتناب المراء والجدل، مع التواضع والصدق وبهذه المعايير يصبح الحوار نافعا.

المطلب الثاني: تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح:

الجدال في اللغة: مصدر قولهم: جادله يجادله جدالاً ومجادلة وهو مأخوذ من مادة (ج-د-ل) التي تدل على استخدام الشيء في استرسال يكون فيه امتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(١) يقال: جادله أي: ناظره وخاصمه، والاسم من ذلك الجدل، وهو شدة الخصومة، وجدل الحبل: إحكام قتله، يقول الراغب: الجدل: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وكأن المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدل: الصرع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها^(٢)، كما يأتي منه المصدر على جدال ومجادلة ومعناه: المناظرة والمخاصمة، والجدال أيضاً المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، يقول الفيومي: هذا هو الأصل ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، فالجدال في اللغة يدور حول: المفاوضة، والمطالبة، والمغالبة، والإحكام، والصرع، والإسقاط، والدد في الخصومة والقدرة على الخصومة، والمناظرة، والمخاصمة. والاسترسال، والاستحكام، ومقابلة الحجة بالحجة^(٣).

الجدل في الاصطلاح: عُرف الجدل بعدد من التعاريف منها:

١. هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣)

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣)، والمفردات (٨٧)، ولسان العرب (١/ ٥٧١)، والصاح (٤/ ١٦٥٣)، والمصباح المنير (١/ ٩٣)

(٣) انظر المصادر السابقة.

٢. هو عبارة عن وراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها^(١).
٣. التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب^(٢).
٤. هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره، والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلاماً فاسداً أو لا^(٣).
٥. هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة^(٤).
- فالذي يظهر من المعاني السابقة أن الجدل هو: الخصومة والمنازعة في البيان والكلام، لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم^(٥).

وقد يكون الجدل محموداً إذا تعلق بإظهار الحق، وقد أمر الله بذلك النبي - ﷺ - في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَادِثُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم وذلك بحسب الغاية منه، وبحسب أسلوبه، وبحسب ما يؤدي إليه، فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرتة، ويكون بأسلوب صحيح مناسب ويؤدي إلى خير فهو (الجدل الممدوح) يقول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [العنكبوت: ٤٦] ، والجدل الذي لا يهدف إلى ذلك ولم يسلم أسلوبه من خلل، ولا يؤدي إلى خير فهو (الجدل المذموم) ولذا جاء الأمر به في القرآن الكريم مقيداً بالتي هي أحسن^(٦) يقول الرسول - ﷺ - (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)^(٧) أي شديد الخصومة يقول الذهبي - يرحمه الله -: (إن كان الجدل للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدل في مدافعة الحق، أو كان بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل ننزل النصوص الواردة في إباحته وذمه)^(٨).

الفرق بين الحوار والجدل:

يُفرق العلماء بين الحوار والجدل، حيث إن الجدل مظنة التعصب والإصرار على نصرته الرأي، والانتصار للنفس بالحق أو بالباطل، والتعسف في إيراد الشبه والظنون على الحق إذا جاء من الطرف الآخر^(٩)، وبين الحوار والجدل فرق أيضاً: إذ إنهما يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة لكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدل فيه لدّة وخصومة، وشدة في الكلام مع

(١) التعريفات (٧٤-٧٥)

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (١٢٢)

(٣) الكليات (١٥٣، ٨٤٩)

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (١٨٩)

(٥) مناهج الجدل في القرآن (٢٠)

(٦) الفقيه والمتفقه (٢٣٣ / ١ - ٢٣٥)، والرد على المنطقيين (٦٤٧ - ٦٤٨)، ومجموع الفتاوى (٢ / ٤٥)

(٧) البخاري كتاب التفسير - باب قول الله تعالى (وَهُوَ الَّذِي خَصَّامٌ) (٨٠ / ٨)

(٨) الكليات (٢٢١)

(٩) الحوار مع أصحاب الأديان (٩).

التمسك بالرأي والتعصب له، والغالب على الحوار الهدوء ومجانبة التعصب^(١)، وبذلك يتضح أن الجدل بالحسنى يقارب في معناه لفظ الحوار.

المطلب الثالث: تأصيل الحوار في دعوة النبي ﷺ:

لقد كان الحوار علامة ثابتة، ولحمة راسخة في كل مراحل السيرة النبوية، وفي مختلف مواطن الدعوة المحمدية، لأن أحب الكلام إلى الناس وأقربهم إلى قلوبهم، وأكثر قبولاً عندهم هو التجاوب، الذي يشارك فيه السامع المتكلم في النطق باللسان لفظاً والتفكير والأعمال عقلاً، ومن عجائب هذا النبي - ﷺ - وقوة إدراكه وسعة علمه، على الرغم من أنه كان ينطق بالوحي، ويتكلم بالحق إلا أنه كان من السمات الظاهرة في كلامه الحوار أي: التجاوب، وفي هذا دلالة واضحة جلية على أن الحوار والتجاوب والأخذ والرد والسؤال والجواب، والتشارك اللفظي والوجداني كان متأصلاً في دعوته، وجزءاً رئيسياً من تركيبة الكلام، ومكوناً من مكونات الخطاب الدعوي للنبي - ﷺ -، ولذا كان الحوار عنده سمة وخلقاً، بل لقد صار الحوار سجية تجري في عروقه مع الدم وتتردد في صدره مع النفس، لذا فإن القول بأن النبي - ﷺ - كان من خلقه الحوار هو قول يوافق الواقع وينسجم مع الحقائق والنقولات المستفيضة الثابتة عن تخلقه - ﷺ - بالحوار بوصفه أصلاً من أصول الدعوة، وأسلوباً من أساليب هداية الناس، وتربية الأصحاب والأحباب، وإقناع الخصوم، وإقامة الحجة عليهم، والبلاغ الذي أوجبه الله عليه، لقد أمضى النبي - ﷺ - في مكة ثلاث عشرة سنة لم يقاتل ولم يناجز، ولم يحمل رحماً، ولم يسلب سيفاً، فقد كان - ﷺ - يحاور أهل مكة ومن جاورها، لمدة ثلاث عشرة سنة كاملة في كل يوم منها، وفي كل ليلة فيها، لا يكمل ولا يمل ولا يتردد، ولا يمتنع من الاستماع لهم والانصات لقولهم والرد عليهم، والصبر على أذاهم، استهزاء به بالسنتهم، وسخرية منه بأفواههم، وإيقاعاً للأذى به بأيديهم وقوة سلطانهم، بل أن الدعوة الإسلامية بدأت بالحوار، حيث إن أول حوار جرى مع النبي - ﷺ - بعد التكليف العظيم والمهمة الأعظم هو حوار مع زوجته الرشيدة خديجة - رضي الله عنها - فعندما جاء جبريل - عليه السلام - ونزلت السورة العظيمة (أقرأ) وكان وحيداً في الغار، رجع - ﷺ - ترجف بواده حتى دخل على خديجة فقال: ((زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة: أي خديجة مالي، لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة - رضي الله عنها - كلا، أبشر، فوالله لا ينجزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق)^(٢) فكان حوار - ﷺ - معها سبباً لمدته بالثقة والأمان، ومنذ أن أعلن النبي - ﷺ - على جبل الصفا دعوته أطلق مشروع حوار طويل ومناقشة مفتوحة، فهو حتى قبل أن يدعوهم إلى القبول بدينه والرضا بمنهج، أجرى معهم حواراً جعله مقدمة لدعوته، وطريقاً لتأكيد الحق الذي معه، وجعل جوابه جزءاً من خطابه الدعوي، وردّهم دليلاً على الحق الذي معه، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: (لما نزلت (وأندر عشيرتك الأقرين) وخرج رسول الله - ﷺ - حتى صعد الصفا، فهتف (يا صباحاه) فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: (أرايتم إن

(١) الحوار آدابه وضوابطه (٢٦).

(٢) البخاري كتاب تفسير القرآن - باب سورة المزمل والمدثر (٨ / ٥٤٨ - ٥٤٩)

خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، قال أبو لهب: تباً لك، ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام فنزلت (تبت))^(١) ولقد أيقنت أساطين الشرك في مكة أن النبي محمداً - ﷺ - جاء بالحق وعلموا أنه أصدق الخلق، ولقد صدّهم عن الإذعان للحق والسير في ركابه الكبر والتمسك بالجاء، وفساد الرأي، فاختاروا الوقوف في الجهة المقابلة للنبي - ﷺ - ودعوته، وعلى الرغم من أنهم سفّهُوا رأيه، وسخروا منه ومن دعوته، إلا أن الشواهد تثبت أن مشركي مكة يُعدون من أكثر من أدار الحوار مع النبي - ﷺ -^(٢) فقدّموا من غير قصد وأظهروا من حيث لم يشعروا الصورة الحضارية والنماذج الحوارية التي يزدان بها النبي - ﷺ - فكان الحوار أصلاً لدعوته - ﷺ - ولنا أن نقرر بشجاعة أن دعوة النبي - ﷺ - قامت على الحوار التزيه فكان تربة جيدة الأكناف، أتت أكلها وأزهت ثمارها، ولذا نجد الحوارات النبوية مع عامة أهل مكة وخاصتهم، ومع وفود الحجاج الذين قصدوا البيت على مدى ثلاث عشرة سنة التي قضاها النبي - ﷺ - في مكة، وقد دخلت قريش في عملية الحوار أيضاً وأوغلت فيها بعنف، وأساءت الأدب والخطاب، ومع ذلك حاورهم الرسول - ﷺ - متمسكاً بأداب الحوار وقيمه ولم تصدر منه هفوة أو زلة - ﷺ - فكانت الثمار أن دخل الناس في دين الله أفواجا.

المطلب الرابع: تعرفه - ﷺ - على أطراف المتحاورين:

إن الإنسان عندما ينظر إلى حوارات النبي - ﷺ - يندهش من رونقه البديع، وإشراقه الصافي، وتلونه في كل باب من أبواب التربية والإصلاح، فحواراته - ﷺ - وهي أكثر من أن تجمع في سفر، وأعز من أن يحويها كتاب، فسيرته تزدان بالحوار، وتنضح بالجدال بالحسنى، فكانت حواراته غذاءً للأرواح، وشفاءً للقلوب، وبهجة للنفوس، فلقد تلون حوار النبي - ﷺ - فشمّل كل لون من تصرفاته، وغمر كل إنسان يتعامل معه، فقد حاور الأصدقاء والخصوم، والمشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وسمع منهم، وأجاب عن تساؤلاتهم، وحوار الأعداء وعقد العقود مع بعضهم، وحوار حتى القتلة والمفسدين في الأرض الذين سعوا إلى قتله وسفك دمه الطاهر، أما عن حوار مع أهل بيته وأصحابه من أشياخ الصحابة وفتي الشباب والأطفال منهم فلا تسل، فلقد أتى - ﷺ - بشيء عجيب، ليس له في سيرة نبي ولا عبقرى ولا ملهم مثيل، فلقد كان - ﷺ - يحترم شخصية المحاور وكيانه ويعترف بمكانته، ويؤمن أن المحاور له رؤية يعتقد بها، ويؤمن بأحقيتها، وأنه يملك الحجج والبراهين للدفاع عنها، وأن له هدفاً يسعى إلى تحقيقه، وغاية يطلبها فلا ينكرها ولا يغفلها. فلذا نجد أن النبي - ﷺ - يحاور المشركين^(٣) بطريقة وأهل الكتاب بأخرى^(٤) فيعطي كل شخص حقه في الحوار لمعرفته - ﷺ - بالمتحاورين، فكان حوارهم للصحابة - رضي الله عنهم - الذين قد تشربوا الإيمان به، وخالطت بشاشة الإيمان بالله ورسوله - ﷺ - قلوبهم فكان حوارهم معهم يختلف عن غيرهم، فلم يكن - ﷺ - في تخاطبه مع أصحابه مضطراً إلى بيان أو تراجع كلام، بل كان في

(١) البخاري كتاب تفسير القرآن - باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب وتب (٨/ ٥٩٩).

(٢) الإقناع في التربية الإسلامية (١٨-٤٠)، والرسول المعلم لإبي غده (١٣٧)، الحوار في القرآن ومعلمه لعابد (١٠٦٤)، والحوار في دعوة النبي - ﷺ - للملاحى (٦١٢)، والحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين للعيني (١٠٨).

(٣) انظر المبحث الثاني في المطلب الأول: حوار النبي - ﷺ - مع المشركين وأثر ذلك في قلوبهم

(٤) انظر المبحث الثاني في المطلب الثاني: حوار النبي - ﷺ - مع أهل الكتاب وأثر ذلك في قلوبهم

أحكامه التقرير وعليهم التنفيذ، وكان له القضاء وعليهم السمع، ويكفيه الإشارة وعليهم الطاعة، ولكن كان - ﷺ - ينشد الكمال، ويطلب الغاية في العلو والرفعة، ويسعى إلى الحكمة العالية، ولذلك اعتمد الحوار مسلماً تربوياً، وأصلاً تعليمياً وأساساً في التوجيه والإرشاد، وهذا أحسن الخلال، وأعلى المطالب فحواراته - ﷺ - تختلف بحسب القدرات العقلية والأحوال النفسية لمحاوريه، إذ يختلف الناس في سعة مداركهم وأوضاع نفسياتهم، فكان - ﷺ - يبلغهم ما يستطيعون فهمه وإدراكه ويناسب حالهم، وهذا يفسر تعدد إجابات الرسول - ﷺ - في الإجابة على سؤال واحد، يقول عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: (إن رجلاً سأل النبي - ﷺ - أي الإسلام خير؟ قال: (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)^(١)، وسئل: أي الإسلام أفضل؟ قال: (من سلم المسلمون لسانه ويده)^(٢)، ولعل من أجمل هذه الحوارات التي توضح مدى معرفة النبي - ﷺ - بالحوار الآتي الذي يبين لنا بصورة جلية أن النبي - ﷺ - كان يخاطب العقل والوجدان^(٣) في الحوار لعلهم بحاجة للمحاور إليه:

أ. يقول عبد الله بن زيد بن عاصم: (لما أفاء الله على رسوله - ﷺ - يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم كما أصاب الناس، فقالوا: يغفر الله لرسول الله - ﷺ - يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فحدث رسول الله - ﷺ - بمقاتلتهم... فخطبهم، فقال: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل، قال: وكنتم متفرقين وألفكم الله بي؟ قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل، وقال: وعالة فأغناكم الله بي؟ قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل، قال: ما بمنعكم أن تحبوا رسول الله؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ قال: لو شئتم قلتهم كذا وكذا ولصدقتهم وتصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأزرنناك، وعائلاً فأسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون أنتم بالنبي - ﷺ - إلى رحالكهم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرو لكنت أمراً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم أرحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، فبكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله - ﷺ - قسماً وحظاً^(٤) ففي هذا الحوار ذكرهم النبي - ﷺ - بمن الله وفضله عليهم، وهم لم ينكروه، بل كان إقرارهم به بالفاظ فيها خشوع وحسن أدب، بلى يا رسول الله، الله ورسوله أمن وأفضل، ثم كاشفهم - ﷺ - بما قد يدور في نفوسهم فأوجز ما قد يخالج النفس الإنسانية في مثل تلك المواقف في جمل متوازية المباني بديعة التركيب، إذ قامت كل جملة بالتضاد بما يكشف تبدل الحال (مكذباً فصدقناك) بيد أنهم بادروا بنفي أن يكون مثل ذلك دار بخلدتهم، بل أكدوا أن المنة والفضل لله ورسوله - ﷺ - وأسندوا ما قيل

(١) البخاري كتاب الإيمان - باب إفشاء السلام من الإسلام (٢٨/١).

(٢) البخاري كتاب الإيمان - باب أي الإسلام أفضل (٢٩/١).

(٣) أصول التربية الإسلامية للنحلاوي (١٨٦)، التربية للحوار للنحلاوي (١٣٠)، ومفهوم الحوار في القرآن الكريم للقضاة (٢١).

(٤) البخاري كتاب المغازي - باب غزوة الطائف رقم (٤٠٩٣).

إلى أناس حديثة أسنانهم - كما جاء في بعض الروايات حيث قال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: (يغفر الله لرسول الله - ﷺ - يعطي قريباً ويتركنا وسيوفنا تقطر بدمائهم) عندها هون من شأن ما عاد به المؤلف قلوبهم فقال لهم: ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكهم؟ إنها مقالة كشفت وجهة نظر رسول الله - ﷺ - إنها الموازنة الفعلية التي ضاءت في عيونهم ما رآه بعضهم كثيراً من عرض الدنيا، وجاء لفظ لعاعة ويُقصد بها البقلة الخضراء الناعمة شبه بها رسول الله - ﷺ - الدنيا ونعيمها ويقصد بها التقليل من الأمر، وفي المقابل ذكرهم بما بقي في أيديهم، لقد عادوا برسول الله - ﷺ - وبما يحمله لهم من إعزاز وبركات ودعوات (فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار...) فلقد اقترب الرسول - ﷺ - من الجانب النفسي في الأنصار الذي هو محور العلاقات القائمة بينهم فيبلغ الحوار غايته حين يتبين لهم سر صنيعة وكشف لهم صحة القسمة، حيث إن الثمار لا تكون مادية فحسب، وهذا ما ينسأه كثير من الناس في حوارهم مع الآخر، فالرسول - ﷺ - اعتمد على العواطف الربانية ورباها في نفوسهم فأصبح الله ورسوله أحب إليهم من المال والولد والناس أجمعين^(١)، والمتأمل في السيرة النبوية يلحظ طبيعة علاقته - ﷺ - بالمرهقين كانت من القوة بحيث يعجب المرء للمكانة التي أولاهم إياها، فكان بمحاوراته معهم جعلهم ألصق الناس وأقربهم إليه، يلازمونه في الليل والنهار والسفر والحضر والجد واللعب ومن أجمل حواراته - ﷺ - معهم.

ب. حوار مع الشاب الذي طلب منه أن يأذن له بالزنا، فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: (إن فتى شاباً أتى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله أئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه..مه " فقال - ﷺ - : (أدنه) فدنا منه قريباً فجلس، فقال: (أتحبه لأهلك) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لا بنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أتحبه لأختك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم) فوضع يده عليه، وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه)، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(٢) فالشاب أتى مستأذناً عالماً بالتحريم قطعاً، وإنما يطلب إذناً خاصاً، فقالها في صراحة وجراً: (يا رسول الله إئذن لي بالزنا) هكذا بغير مقدمات ولا شفيع، والناس ينظرون إليه فيزجرونه أتطلب هذا من هذا؟ تطلب النزول من رجل العلو؟ والحنث من رجل الطهر، فسمع رسول الله - ﷺ - تقرير الناس له فالتفت إليه وقد كان - ﷺ - إذا كلم أحد التفت إليه بكليته وأقبل عليه بوجهه، وبدأ مع الشاب حواراً متدرجاً قصير الكلمات فيه سؤال وفيه مساحة حرة للجواب، وبين السؤال والسؤال وقفة للتأمل والتبصر، فحواره لا بد أن يكون بالإقناع

(١) أصول التربية الإسلامية للنحلوي (١٨٦)

(٢) أحمد في المسند حديث رقم (١١٧٣٠) (٢٥٣/١٨).

لإيقاظ العقل على حساب الهوى واستنارة العزم على حساب الضعف فبدأ الحوار مع الشاب بأعز الناس وأحب الإناث إلى قلب كل إنسان فقال: (أتجبه لأملك؟) أرأيت هذا الأمر العظيم من الشر الذي جئت تسأل الرخصة فيه، أهو شيء ترضاه لأحب النساء إليك أملك؟ فبدأ بالألم ليشير الانتباه ويوقظ الحواس في أعلى مستوياتها فجاء الجواب سريعاً وحاسماً مشفوعاً بقسم بالله العظيم (لا والله يا رسول الله) متبوعاً بإعلان محبة فيه إشارة خفيفة (جعلني الله فداءك) وكأنه يقول: لا والله لا أحب لأمي ذلك (جعلني الله فداك) لا تقبل هذا يا حيي ونبيي لمن أحب النساء إلى قلبي أمي التي يُبذل دون عرضها المهج والأرواح، ولم يتوقف الأمر عند حدود الأم الغالية فمقصود النبي - ﷺ - شفاء صدر الشاب وتطهير قلبه بالكلية من كل أبواب الشر، فاستمر الحوار ليشمل كل عزيزة وحببية إلى قلب الشاب بحسب قربها إلى قلبه ومكانتها من نفسه ابنتك، أختك، عممتك، خالتك، فإذا كنت لا ترضاه لمحارمك فإن الناس لا يرضونه إلا أن الجواب تردد في هذه اللحظة في جوف الشاب، وقد استبان له الأمر، ولكن النفس لها بالأمر متعلق، وهنا تظهر عظمة النبي الكريم - ﷺ - ليزيل هذا التردد وما بقي من التعلق، فقام بلمسة حانية من يد شريفة يصاحبها نظرة رحمة، ويُجلل اللمسة الحانية والنظرة الرحيمة دعاء يجلو ما في صدر الشاب من النوازع الآثمة والرغائب المحرمة، فكان أثر الحوار النبوي أن الفتى لم يلتفت إلى شيء من ذلك، فانظر إلى الطريقة التي استخدمها النبي - ﷺ - حيث إنه لم يزجره، وأدناه منه، ولم يبين له جريمة وفظاعة ما يريد فعله، وكان الجواب من جنس السؤال وبدأ بسؤاله عن الفعلة بأقرب الناس إليه، ويَبِّن له بأن الناس لا يحبون ما لا يحبه لنفسه، وأخذ النبي - ﷺ - بالأسباب، ووضع يده على صدر الشاب ودعا له، فالطريقة الحوارية احتوت ابتكارات متعددة منها: عدم زجر السائل، حتى وإن بدأ سؤاله لأول وهلة مخالفاً للدين أو الأخلاق، فربما كان سؤاله نابعاً من عدم علم، أو حُسن نية، ومحاولة القرب من المحاور، لأن ذلك أدنى إلى الألفة والوصول إلى عقل وقلب السائل، مع عدم الإجابة مباشرة، بل التمهيد والتسلسل المنطقي العقلي، مع كون الإجابة أوقع في نفس السائل إذا كانت من جنس السؤال، وتكون الإجابة أوقع في نفس السائل إذا كانت عن أقرب الناس إليه وأحبهم إلى نفسه، مع الأخذ بالأسباب كالدعاء والاستعانة بالله والتوكل عليه.

ج. كان - ﷺ - يعرف المحاور جيداً ويجاوره بالطريقة التي تتناسب مع حالته، وهذا ما كان يفعله مع كل من يجاوره - ﷺ - حيث كان يختار الحوار المناسب مع الآخر، حتى كانت زوجاته - رضي الله عنهن - يراجعنه في كل الأمور، وذلك لما وجدن من سماحة نفسه. ومن أمثلة تلك المراجعة أن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: (أخبرتني أم مُبَشَّر أنها سمعت النبي - ﷺ - يقول عند حفصة: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله فقالت حفصة: (إن منكم إلا واردة) فقال النبي - ﷺ - قد قال الله - عز وجل -: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً)^(١) فهنا حفصة - رضي الله عنها - تراجعها لعلمها بسعة صدره وقوة حجته فوضح لها أن فهمها للآية فيه خلل حيث إن المراد من الآية المرور على الصراط يوم القيامة

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان - رضي الله عنهم - حديث رقم (٤٦٧٥)

أما النار فلا يدخلها أحد بايع بيعة الرضوان ولكن مع ذلك يمرون على الصراط، فالنبي -ﷺ- يعلم حق اليقين كيفية محاورة الآخر فيستخدم لكل واحد منهم المنهج^(١) الصحيح الذي يلائمه فكان -ﷺ- يستعمل الأساليب المتنوعة بما يلائم حال المدعوين، فبعضها ما يلامس عقل المحاور^(٢) ويحرك فكره، ويدعو إلى التدبر والاعتبار ويعد ركيزة من ركائز المنهج العقلي^(٣) كأسلوب المجادلة بالحسنة، ومنها ما يلامس الحس الحسي^(٤) كأسلوب القدوة الحسنة، والمحاور الحكيم هو الذي يختار الشكل المناسب من أشكال الأساليب المتنوعة للمناهج المتعددة، فيلي في حوار متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها، وهذا ما جاء في حوارات النبي -ﷺ- وبذلك يستجيب المحاور - في الغالب - إلى الحق والصواب.

المطلب الخامس: الهدف من الحوارات النبوية:

إن من المعلوم أن الغاية من خلق الله المخلوقات المكلفة هي العبادة وصرفها له وحده - سبحانه وتعالى - يقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ولا يرضى - سبحانه - بعد بعثة نبيه محمد -ﷺ- إلا الإسلام ديناً، يقول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] فلقد أرسل نبيه محمداً -ﷺ- مبشراً ونذيراً ورحمة للعالمين، يقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ويأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه محمداً -ﷺ- بالدعوة إلى هذا الدين، يقول الله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثُهُمْ بِالنِّبَاتِ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وبهذا يتضح أن الهدف العام للحوارات النبوية هو تبليغ الرسالة إلى الجن والإنس، وكان الرسول -ﷺ- حريصاً على نجاة الجن والإنس حتى أنه يقلق ويتألم إذا لم يجد استجابة ولذلك طمئننه الله - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] ويقول: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] أما الأهداف الخاصة فهي متعددة وقد تختلف في كل محاورة عن الأخرى، أو تتشابه معها، وهي كثيرة يدركها الإنسان من قراءته للحوار المحدد، وتختلف باختلاف المحاور الآخر، وموضوع الحوار، وموقف الطرف الآخر من الموضوع ومن هذه الأهداف في الحوارات النبوية على سبيل المثال لا الحصر:

(١) لفظة المنهج مأخوذة من النهج، وهو الوضوح والاستبانة والاستقامة في الطريق، يقال: نَجَّ الطريق فعل لازم بمعنى استقام ووضح واستبان، وهو عام في كل مسلك وليس خاصاً بالطريق المادي، ولهذا ورد في القرآن الكريم: (لِكُلٍّ جَلَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا) [المائدة: ٤٨] واستخدمت في الخطة المرسومة أو السلوك في التربية والتعليم، فقيل: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، ومنهاج البحث العلمي، وإذا كان منهج التعليم الذي هو مجموعة من المواد الدراسية والخبرات العلمية لتحقيق أهداف التربية فليس المقصود بها في البحث، وإنما المراد بالمنهج القواعد العلمية التي تؤخذ بها المعرفة الحقيقية، انظر المعجم الوسيط (٩٦٦/٢)، والمعجم الفلسفي (٤٣٥/٢)، ومنهاج البحث العلمي (٢).

(٢) رسالة العقائد (١٣٠/١٥)، ومنهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله (٧-٦)، ومنهاج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله (٨).

(٣) المنهج العقلي: هو النظام الدعوي الذي يتركز على العقل ويدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار، ومن أبرز أساليبه: المحاكمات العقلية بجميع أشكالها، والجدل، والمناظرة، والحوار، وضرب الأمثلة بأنواعها، والنصوص التي يغلب عليها الجانب العقلي. انظر تفسير المراغي (٣٢٧/١)، التوقيف على مهمات التعاريف (٥٠١/١)، الكليات (١٤٧)، التحرير والتنوير (٧١/١٣)، المرأة في القصص (٢٥/١).

(٤) المنهج الحسي أو التجريبي: هو النظام الدعوي الذي يتركز على الحواس ويعتمد على المشاهدات والتجارب، أو مجموع الأساليب الدعوية التي تتركز على الحواس وتعتمد على المشاهدات والتجارب، ومن أبرز أساليبه: لفت النظر إلى التعرف على المحسوسات والتعليم التطبيقي، والندوة العلمية، وتغيير المذكر باليد والتمثيل المسرحي. انظر سيكولوجية القصة في القرآن (٤٦٠)، عيوب النفس (٢٧/١)، التوقيف على مهمات التعاريف (٣٥٠٣-٥٠١/١).

أولاً: الإقناع بالإسلام:

كان الرسول - ﷺ - محاوراً فذاً ذكياً حليماً نقياً تقياً فكان يحاول بكل جهده أن يقنع الآخرين بالدخول في الإسلام ولعل موقفه مع حصين بن المنذر الخزاعي وهو أبو الصحابي الجليل عمران بن حصين الذي انتدبته قريش لمناقشة النبي - ﷺ - ورده عن دعوته فدخل على النبي - ﷺ - وحوله أصحابه، فردد عليه ما ترددده قريش دوماً فرقت جماعتنا، وشتت شملنا، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب، والنبي - ﷺ - ينصت بلطف حتى إذا انتهى قال له بكل أدب: أفرغت يا أبا عمران؟ قال: نعم، قال: فأجبنني عما أسألك عنه، قال: قل أسمع، فقال - ﷺ - : يا أبا عمران كم إلهاً تعبد اليوم؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء!!، فقال: فأبهم تُعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء فقال - ﷺ - بكل لطف: يا حصين أما إنك لو أسلمت علمت كل كلمتين ينفعانك، فما كان من حصين إلا أن أسلم في مكانه فوراً، ثم قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال - ﷺ - قل: (اللهم الهمني رشدي وأعذني من شر نفسي)^(١) فما أروع هذا التعامل الراقي وشدة تأثيره في الناس عند مخالطتهم وحوارهم، ففي هذا الحوار يأتي الأسلوب النبوي مزيجاً من الأسلوب العاطفي والعقلي ليكون أكثر فاعلية في الترغيب في الإسلام، فيأتي الأسلوب العاطفي في هيئة المناداة بالاسم، ثم يتلوه الأسلوب العقلي في هيئة استفهامات استفسارية تستدرج المحاور الآخر إلى الاعتراف بضرورة الاعتقاد برب واحد، إليه يرغب ومنه يرهب، ثم يأتي بالأسلوب العاطفي في هيئة المناداة بالاسم مرة أخرى، والترغيب في الإسلام بطريقة رقيقة تلميحاً، إذ يعده بتعليمه شيئاً ينفعه إذا أسلم، والتلميح أكثر فاعلية، لأن كثير من الناس يرفض الأسلوب المباشر الذي يشعره بأن الداعية يجهره أو يخطئه.

ثانياً: التثبيت على الإيمان والتعويد على التسليم لأوامر الله تعالى:

إن الرسول - ﷺ - عندما يتكلم لا يتكلم إلا بالنافع المفيد الذي ينفع السامع به، فمرة كان جالساً - ﷺ - مع شاب اسمه جليبيب من خيار الصحابة - رضي الله عنهم - لكنه كان فقيراً مُعْدِماً، وكان في وجهه دمامة، فعرض عليه الرسول - ﷺ - التزويج، فقال: إذن تجدني كاسداً، فقال: (غير إنك عند الله لست بكاسد) فلم يزل - ﷺ - يتحين الفرص لتزويج جليبيب حتى جاء رجل من الأنصار يعرض ابنته على رسول الله - ﷺ - ليتزوجها، فقال النبي - ﷺ - : (نعم يا فلان زوجني ابنتك) فقال: نعم ونعمين يا رسول الله، فقال - ﷺ - : (إني لست أريدها لنفسني) قال: فلمن؟ قال: (جليبيب)، قال الرجل متفاجئاً: جليبيب جليبيب يا رسول الله حتى أستاذم أمها؟ أتى الرجل زوجته فقال: إن رسول الله - ﷺ - يخطب ابنتك، قالت: نعم ونعمين زوج رسول الله - ﷺ - قال: إنه ليس يريدناها لنفسه، قالت: فلمن؟ قال: يريدناها لجليبيب، فتفاجأت المرأة أن تزف ابنتها إلى رجل فقير دميم، فقالت: حلقي!! لجليبيب..؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيباً وقد منعناها فلاناً وفلاناً فاغتم أبوها لذلك وقام ليأتي رسول الله - ﷺ - فصاحت الفتاة من خدرها بأبويها: من خطبني إليكما؟

(١) الترمذي كتاب الدعوات (٥١٩/٥) حديث رقم (٣٤٨٣)، وابن خزيمة من كتاب التوحيد (٢٧٧/١)، وأحمد في مسنده ح (١٩٩٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ح (٩٩٤)، وابن أبي شيبة (٢٦٧/١٠).

قالا: رسول الله - ﷺ - قالت: أتردان على رسول الله - ﷺ - أمره، ادفعاني إلى رسول الله - ﷺ - فإنه لن يضيعني، فكأنما جلت عنهما وأطمأنا فذهب أبوها إلى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله شأنك بها فزوجها جلييباً فزوجها النبي - ﷺ - جلييباً، ودعا لهما وقال: (اللهم صب عليهما الخير صباً صباً، ولا تجعل عيشهما كدأ كدأ) فلم يمض على زواجه أيام حتى خرج النبي - ﷺ - في غزوة وخرج معه جلييب، فلما انتهى القتال، تفقده الرسول - ﷺ - فقام الصحابة - رضي الله عنهم - يبحثون عنه ويطلبونه في القتلى حتى وجدوه في مكان قريب إلى جنب سبعة من المشركين قد قتلهم ثم قتلوه، فوقف النبي - ﷺ - ينظر إلى جثته ثم قال: (قتل سبعة ثم قتلوه، قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه) ثم حمله على ساعديه وأمروا أن يحفروا له قبره، يقول أنس - رضي الله عنه - فمكثنا نحفر القبر وجلييب ما له سرير غير ساعدي رسول الله - ﷺ - حتى حُفر له ثم وضعه في لحده، ثم يقول: والله ما كان في الأنصار أيم انفق منها أي تسابق الرجال إليها كلهم يخطبها بعد جلييب^(١).

فهذا الحوار يوضح لنا عدد من القيم الأخلاقية التي يتغافل عنها كثير من الناس: فالرسول - ﷺ - يتبسط مع جلييب ويعرض عليه النكاح ويقنعه بذلك، وعندما يرد جلييب بقوله: إذن تجديني كاسداً، فكان الرد منه - ﷺ - مليئاً باليقين والإيمان وحسن الظن بالله، ارضاءً له بقوله: (ولكنك عند الله لست بكاسد) فعبارته تجعل الشاب لا يمل ولا ييأس من فقره وحاجته، والحوار يوضح أيضاً واقعية الحوار حيث إن الرسول - ﷺ - لم يجامله أو يقل له إنك لست قبيحاً، وعندما حانت الفرصة وجاء الرجل يعرض ابنته على رسول الله - ﷺ - فلم يتباطأ بل خطبها لجلييب، ويتضح تكريم الأم من قبله - ﷺ - حيث لم يمنع الرجل من استئذان الأم، ومدى اهتمامه - ﷺ - بالأسرة والرباط الزوجي فدعا لهما دعاءً جميلاً، وفي الختام يظهر مدى الخير الذي نالته المرأة حيث عاشت مع زوجها ثم استشهد فتسابق الرجال لخطبتها، وهناك العديد والعديد من الحوارات التي تحت على ذلك الأمر ومنها: أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (إن اليهود مروا ببیت النبي - ﷺ - فقالوا: السأم عليكم أي: الموت عليكم، فقال - ﷺ -: (وعليكم) فلم تصبر عائشة - رضي الله عنها - لما سمعتهم فقالت: السأم عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال - ﷺ -: (مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش) قالت: (أولم تسمع ما قالوا؟ فقال: (أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي ولا يستجاب لهم)^(٢).

ثالثاً: تيسير الطاعة لله - تعالى - وبث الرجاء في النفس:

إن الرسول - ﷺ - كان يحاول في حواراته أن ييسر الطاعة لله - تعالى - ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

أ. ما حصل مع معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - كان من عامة الصحابة، لم يكن يسكن المدينة، ولم يكن مجالساً للنبي - ﷺ - وإنما كان له غنم في الصحراء يتبع بها العشب، أقبل معاوية يوماً إلى المدينة فدخل إلى المسجد، وجلس إلى رسول الله - ﷺ - وأصحابه فسمعه يتكلم عن العطاس، وكان مما علم أصحابه إنه إذا سمع المسلم أخاه

(١) مسلم فضائل الصحابة - باب من فضائل جلييب - رضي الله عنه - رقم (٢٤٧٢)

(٢) (البخاري كتاب الدعوات - باب قول النبي - ﷺ - يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا (١٦٦/١) .

عطس فحمد الله فإنه يقول له: يرحمك الله، حفظها معاوية، وبعد أيام جاء إلى المدينة فدخل المسجد فإذا النبي - ﷺ - يصلي بأصحابه، فدخل معهم في الصلاة فبينما هم على ذلك إذ عطس رجل من المصلين، فما كاد يحمد الله حتى تذكر معاوية أنه تعلم أن المسلم إذا عطس فقال: الحمد لله، فإن أخاه يقول له: يرحمك الله، فبادر معاوية العاطس قائلاً بصوت عالي: يرحمك الله، فاضطرب المصلون وجعلوا يلتفتون إليه منكبين، فلما رأى دهشتهم اضطرب وقال: وآكل أمياه!! ما شأنكم فلما تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون على أفخاذهم ليسكت فلما رآهم يصمتونه صمت، فلما انتهت الصلاة، التفت - ﷺ - إلى الناس وقد سمع جلبتهم وأصواتهم فسألهم من المتكلم؟ فأشاروا إلى معاوية فدعاه النبي - ﷺ - إليه فأقبل عليه فرعاً لا يدري بماذا سيستقبله وهو الذي أشغلهم في صلاتهم وقطع عليهم خشوعهم، يقول معاوية - رضي الله عنه - : (فبأي هو وأمي والله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، والله ما كهربي^(١) ولا ضربني ولا شتمني، وإنما قال: يا معاوية: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن)^(٢) فارتاحت نفسه وأطمأن قلبه وذلك لطريقة الرسول - ﷺ - في الحوار مع أنه فعل أمراً شوش فيه على المصلين وقطع عليهم خشوعهم، ومع ذلك يسر له - ﷺ - - الطاعة ووضح له أن الصلاة لا يصح فيها أبداً شيء من ذلك، ولو استخدم - ﷺ - - معه أسلوباً آخر فيه الشدة والغلظة وحاشاه أن يفعل ذلك لأدى ذلك إلى كره الطاعة والعبادة.

ب. ومن الأمثلة على مدى تيسير النبي - ﷺ - للطاعة يقول أسامة - رضي الله عنه - : (بينما رسول الله - ﷺ - في المسجد ونحن قعود معه إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه علي، فسكت عنه رسول الله - ﷺ - ثم أعاد فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه علي، فسكت عنه، وأقيمت الصلاة، فلما انصرف نبي الله - ﷺ - أتبع الرجل رسول الله - ﷺ - حيث انصرف، وأتبع رسول الله - ﷺ - انظر ماذا يرد على الرجل، فلحق الرجل رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه علي، فقال له رسول الله - ﷺ - : (أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنست الوضوء؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ثم شهدت الصلاة معنا؟ فقال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله - ﷺ - - فإن الله قد غفر لك حدك أو ذنبك)^(٣) فالصحابي هنا - رضي الله عنه - قد تصور بسبب تقواه أنه قد وقع في ذنب خطير، وهنا يبدو أن حده لا يندرج في الحدود بمعناها الاصطلاحي، فيهون عليه الرسول - ﷺ - فعلته ويوجد له مخرجاً منطقياً منها ليخفف قلقه، وهذا جاء تائباً معترفاً بذنبه معتقداً أن ذنبه خطير، لهذا سكت عنه النبي - ﷺ - مرات ثم حاول أن يخرج من شعوره المبالغ فيه بالذنب باستفهامات تقريرية تشهد بصدقه، ثم بشره بأن الله قد غفر ذنبه، فانظر إلى مدى تيسير النبي - ﷺ - للطاعة فقد

(١) كهربي: الكهر: الزجر والنهر، كهره يكهره: إذا زجره ونهره. انظر جامع الأصول لابن الأثير (٤٨٨/٥).

(٢) مسلم كتاب المساجد - باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته رقم (٥٣٧).

(٣) مسلم الإيمان - باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة رقم (١٥).

وضح للمذنب بأن الطاعة والإخلاص والصدق فيها تحي السيئة، وهذا مصداق لقول الله - تعالى - (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) [هود: ١١٤].

ج. ومن أمثلة الحوارات التي توضح تيسير الطاعة والعبادة ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - فقال: (بينما نحن جلوس عند النبي - ﷺ - إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: (مالك؟) قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله - ﷺ -: (هل تجد رقبة تعتقها؟) قال: لا، قال: (فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟) قال: لا، فقال: (فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟) قال: لا، فمكث النبي - ﷺ - فبينما نحن على ذلك أتى النبي - ﷺ - بعرق فيها تمر والعرق المكنث قال: (أين السائل؟) فقال: أنا، قال: (خذها فتصدق به) فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابئيهما - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي - ﷺ - حتى بدت أنيابه قال: (أطعمه أهلك)^(١) فالرجل جاء معترفاً بخطئه فلم يعنفه الرسول - ﷺ - ولكن أخبره بما يجب عليه برفق بل، وساعده على أداء الكفارة التي عليه إذ كان عاجزاً، وربما مازحه النبي - ﷺ - وضحك من حالته التي أدت به إلى المخالفة مع عجزه عن التكفير عنها. مما يدل على مدى تيسير الطاعة في حواراته - ﷺ - لذا كان الرسول - ﷺ - دائماً يميل إلى تيسير الطاعات فيقول: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)^(٢) ويشجع الآخرين على اتخاذ الرحمة منهجاً وسبيلاً مع غيرهم، لأن رحمتهم والشفقة عليهم لها أثر بالغ، ولهذا تتابعت وصايا الرسول - ﷺ - للمسلمين بالرحمة المطلقة، التي تشمل المسلمين وغيرهم، يقول - ﷺ -: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله - عز وجل -)^(٣) ويقول: (لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي)^(٤)، وعندما قيل لرسول الله - ﷺ - ادع على المشركين قال: (إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة)^(٥) يقول ابن حجر - رحمه الله -: (فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل فيه المؤمن والكافر)^(٦).

وهناك أهداف وأهداف كان الرسول - ﷺ - يهدف إليها في حواراته إذ يهدف إلى أمور فرعية مثل إيجاد حل وسط يرضي الأطراف، والتعرف على وجهات نظر الطرف الآخر، والبحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنويع الرؤى والتصورات المتاحة للوصول إلى نتائج أفضل، وتقريب وجهات النظر بين المتحاورين، والاستماع لوجهات النظر المختلفة وغيرها كثير وكثير.

(١) البخاري الصوم - باب إذا جامع في رمضان (١٣١/٤).

(٢) البخاري كتاب الجهاد - باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب - ح (٣٠٣٨)، ومسلم كتاب الجهاد - باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير - ح (١٧٣٣).

(٣) البخاري كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهايم - ح (٦٠١٣)، ومسلم كتاب الفضائل - باب رحمة - ﷺ - على الصبيان والعيال... ح (٢٣١٩).

(٤) أبو داود في سننه كتاب الأدب - باب في الرحمة ح (٤٢٩١)، والترمذي في جامعه كتاب البر والصلة - باب ما جاء في رحمة الناس ح (١٩٢٣).

(٥) مسلم كتاب البر والصلة والأدب - باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ح (٢٥٩٩).

(٦) فتح الباري (٤٤٠/١٠).

المطلب السادس: المبدأ الأساس للحوارات النبوية:

إن من يستقرئ التشريع الرباني يجد أن هناك قاعدة عامة ينبغي لكل من يفكر في الإصلاح أن يجعلها نصب عينيه، وأن يتذكرها وهو ينشئ النظام أو يصنعه أو يصوغه، أو يفسره، أو يطبقه، وهذه القاعدة هي: عدم التعرض لحرية الأفراد إلا عند الضرورة القصوى، أو ليحقق لهم مصلحة واضحة، فالله - سبحانه وتعالى - لا يحاسب العبد إلا لأنه أعطاه شيئاً من الحرية في الاختيار ليمتتع به ويحاسب عليه^(١) يقول الله - تعالى -: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وجعل الله - تعالى - مجال المباح واسعاً ليتحرك فيه بحرية، ومما يؤكد أهمية هذه الحرية تحذير الرسول - ﷺ - من التسبب بتحريم الأشياء المباحة، حيث يقول: (إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته)^(٢) ويقول أيضاً: (إن الله - عز وجل - فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرماً فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تتعدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها) وفي رواية (فلا تتكلفوها رحمة من الله فاقبلوها)^(٣) ولذلك يذم الله - تعالى - من يتعدى على حدوده وتشريعاته، فيحلل ما حرم الله، أو يحرم ما حلل الله - تعالى - يقول الله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَزِدُّوهُمْ وَلْيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثْ حِجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْهُ فَرْسٌ فَهُوَ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٧-١٤٠] ففي هذه الآيات عدة أمور اجترأوا على القول فيها بالتحريم والتحليل بغير علم، فقد أباحوا قتل الأولاد، وجعلوا من الأنعام ما لا يجوز أكله إلا بمشيئتهم، وفرقوا بين النساء والرجال فيما يجوز أكله وما لا يجوز، فطالبهم الله - عز وجل - بالحجة والبرهان على ما ادعوه من التفريق بين ما اشتملت عليه أرحام الأنعام في التحليل والتحريم في الآيات التي بعدها، وقد ذمهم الله - تعالى - أيضاً لكونهم يبحرون البحائر، وهي التي يمنع درها للطواغيت، ويُسَيَّبون السوائب وهي الدابة التي يجعلونها لألهتهم، ويُسَيَّبون الوصائل وهي الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بأثنى، فكانوا يُسَيَّبونها للطواغيت، ويجمعون الحافي، وهو فحل الإبل يضرب الضراب المعدودة، فإذا قضى ضرابه تركوه للطواغيت، واعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء^(٤) ولذلك كان الرسول - ﷺ - يحاورهم ويبين لهم أن الله - تعالى - هو الذي يأمر بالتحليل والتحريم، فمن نازعه في ذلك فقد افترى إثماً عظيماً كما وضح - ﷺ - في حديثه عن اليهود واستحقاقهم اللعنة لكونهم استباحوا شحم الخنزير وباعوه وأكلوا ثمنه وكان ذلك محرم عليهم^(٥) ولذا فإن الله - تعالى - يستنكر على من يحرم الزينة والطيبات التي منحها لعباده، حيث لم يحرم على عباده إلا ما كان يستحق التحريم، يقول الله - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ

(١) منتهى الوصول والأمل لابن حاجب (٢٣/١).

(٢) البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره من كثرة السؤال (١٣/ ٢٢٦-٢٢٧) ومسلم الأقضية - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (١٢/ ١٠ - ١٢).

(٣) البيهقي في السنن الكبرى - باب ما لم يذكر تحريمه (١٢/١) حديث رقم (١٩٥٠٩)، والدار قطني في الرضاع رقم (٤٢).

(٤) البخاري كتاب التفسير - باب ما جعل الله من بحيرة ولا ساقية ولا وصيلة ولا حام (١٩١/٥).

(٥) البخاري كتاب البيوع - باب بيع الميتة والأصنام (٤٣/٣).

زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون. قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً [الأعراف: ٣٢-٣٣]، ولذا اقتضت حكمة الله أن يجعل الأحكام الشرعية تندرج ضمن خمسة أصناف في أرجح أقوال الفقهاء: الواجب، والمستحب، والمباح، والمكروه، والحرام فتترك الأحكام مجالاً للاختيار كبيراً، لا يقتصر على المباح المسكوت عنه، فحتى المأمور به يتدرج بين الواجب أو السنة أو المستحب، ويتدرج المنهي عنه بين الحرام والمكروه، ويترك المباح مجالاً واسعاً، وبهذا يترك مجالاً للتنافس والتنوع والاستمتاع بحرية الاختيار بين المكافأة التي تتدرج بين المكافأة الكبيرة والصغيرة، والعقوبة التي تتدرج بين الشديدة والخفيفة، وانطلاقاً من مبدأ حق الفرد في الاختيار المقيد يسمح الرسول - ﷺ - في حواراته لمن ينطبق عليه النظام بالمراجعة وبالمعارضة، وبالاقتناع بما يختاره لنفسه، ولكن في هيئة وحدات متكاملة بمعتقداتها وعباداتها وتشريعاتها ومبادئها الأخلاقية، بل إنه بلغ قمة التسامح مع المخالف حيث إن الرسول - ﷺ - نهي المسلمين أن يكذبوا كتب أهل الكتاب فقال: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾ [البقرة: ١٣٦])^(١) فكان الرسول - ﷺ - يعتبر حرية الإنسان قيمة من أبرز القيم العليا، ومقصداً من أهم مقاصد الشريعة، فكان يؤكد على ضمان حرية الاعتقاد، ووجوب حفظه للإنسان وحمايته من أي تدخل خارجي^(٢) فلم يرغم الرسول - ﷺ - مخالفه على الدخول في الإسلام، بل ترك لغير المسلمين كامل الحرية في أن يبقوا على دينهم، فلا يجبروا على اعتناق الإسلام، فكان - ﷺ - - ينجي الناس بين الدخول في الإسلام، أو البقاء على دينهم، لكن بعد أن يعقد معهم عهداً يطمئنون به على دينهم وأعراضهم وأموالهم، ويتمتعون بدمه الله ورسوله، ولذلك سمو في الإسلام أهل الذمة^(٣)، يقول بريدة - رضي الله عنه -: (كان رسول الله - ﷺ - إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً ثم يقول: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله، الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم)^(٤) هذا التعامل الراقي من الرسول - ﷺ - هو امتثال لقوله - تعالى -: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا

(١) البخاري كتاب الشهادات - باب لا تسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ح (٤٤٨٥).

(٢) لا إكراه في الدين للعلواني (٩٠-٩٢).

(٣) الإسلام وغير المسلمين للزحيلي (٦٠-٦١)، وحقوق غير المسلمين لعابد (٢٧).

(٤) مسلم كتاب الجهاد - باب تأمير الإمام الأمراء على البعث ووصيته ح (١٧٣١).

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٥٦] وهذا ما اعترف به غير المسلمين يقول إدوين كالفرلي: (في القرآن الكريم آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة، يعرفها المسلمون جميعاً، ويجب أن يعرفها غيرهم وهي تقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ^(١).

المطلب السابع: مظاهر اخلاقيات الحوارات النبوية:

كان الحوار ركيزة أساسية في دعوة الرسول - ﷺ - إلى الله - تعالى - وبيان محاسن الإسلام ومفاهيمه السمحة وفضائله وقيمه ومقاصده السامية، وحث الناس إلى الالتزام بأحكامه، فكان حوار - ﷺ - لبناء المفاهيم الصحيحة وإيضاح الحق للناس، فكان يعتمد على قواعد وأصول في حواراته - ﷺ - كإخلاص النية لله - تعالى - ^(٢) والتحلي بالعلم والمعرفة ^(٣) لموضوع الحوار ووسائله، والقدرة على النظر والموازنة والاستنباط ^(٤) والاستدلال والترجيح بين الأدلة المختلفة، والاعتراف بالآخر واحترامه، ومن ثم قبول الاختلاف معه ^(٥)، لأن الاختلاف في منظور الإسلام إنما هو من آيات الله - سبحانه وتعالى - الدالة على مشيئته وقدرته وحكمته، والتجرد لطلب الحق ^(٦)، وتحديد موضوع الحوار وهدفه، والاتفاق على أصول مرجعية للحوار، والانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق مع عدم التناقض في الطرح، وسلوك الطرق العلمية والتزامها ومنها تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة في الحوار، وقد أرشد الله - عز وجل - إلى ذلك بقوله: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤] وكان - ﷺ - يلتزم بقيم الحوار وآدابه كالرفق واللين والتمسك بلطف الخطاب مع المخالف، واتخاذ المدخل الحسن وحصر الحوار في القضايا الكبرى، وتناول المسلمات المتفق عليها، والتنبيه لإسهام العلم والدين في إيضاح الحق والوصول إلى الصواب وعفة اللسان، والهدوء والسكينة، واجتناب رفع الصوت، وحسن الاستماع والفهم، وإعطاء الطرف الآخر الفرصة كاملة للتعبير عن آرائه وعرض أدلته، واجتناب المراء والجدل المذموم، والتزام التواضع والصدق والأمانة في الحوار، ومن أهم المظاهر الأخلاقية في حوارات الرسول - ﷺ -:- ^(٧)

أولاً: عدم إكراه الطرف الآخر أو إيقاعه في الأذى: يقول عمرو بن عبسة السلمي: (كنت وأنا في الجاهلية أظن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحتي فقدمت عليه فإذا رسول الله - ﷺ - مستخفياً... فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن توحّد الله لا تشرك به شيئاً، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد، ومعهم يؤمّن أبو بكر وبلال من آمن معه، فقلت: إني متّبّعك، قال:

(١) الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته لكوبلر بونغ (١٦٣-١٦٤).

(٢) فقه الدعوة إلى الله لمحمود (٣٧)، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية (١٣٤).

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (١٩٦/٣).

(٤) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية للصويان (٦٤).

(٥) كيف نتاور للحبيب (٤٣).

(٦) كيف نتاور الآخرين للفتيان (٩٠).

(٧) الحوار مع أهل الكتاب للقاسم (٢١٣).

إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن أرجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله - ﷺ - المدينة فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني، قال: نعم أنت الذي لقيتني بمكة، فقلت: بلى يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله^(١) ففي هذا الحوار يمزج النبي - ﷺ - بين الإجابات المختصرة وتقديم ما يوافق عليه المحاور الآخر مثل: صلة الأرحام وذلك ترغيباً له، وليس إكراهه على ذلك، ثم يؤكد أهمية التوحيد بطريقتين: (كسر الأوثان وألا يشرك بالله شيئاً) وبدلاً من المراوغات التي يستخدمها المروجون لأفكارهم ومعتقداتهم يلتزم - ﷺ - بالصدق والواقعية في عدد من يتبعونه، بل ويعبر عن إشفاقه على أتباعه فينصح هذا الذي أسلم بالعودة إلى إلهه حتى يظهر أمره ويعتز المسلمون، فأني نبل هذا الذي يجعل النبي - ﷺ - يخاف على أتباعه أكثر من نفسه، فبدلاً من أن يستعين بهم لمساعدته ومعاونته يخشى عليهم أذى قريش فينصحهم بالرجوع حتى يظهر أمره - ﷺ - فما أروع من نبل وتسامي!!.

ثانياً: قبول التحدي الثقافي من الطرف الآخر: يقول ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - كنت قائماً عند رسول الله - ﷺ - فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لم تدفعني، فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله - ﷺ -: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله - ﷺ - أينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكث رسول الله - ﷺ - بعود معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؟ فقال رسول الله - ﷺ - هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد الحوت، قال: فما غذائهم على إثرها؟ قال: يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شراهم عليه؟ قال: من عين تسمى سلسبيلا، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، فقال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعاً فعلا مني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أثنا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف، فذهب، فقال رسول الله - ﷺ - لقد سألتني هذا الذي سألتني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به^(٢) ففي هذا الحوار تقبل الرسول - ﷺ - التحدي الثقافي من اليهودي وذلك دليل على حرية الدين فلم يعارضه ولم يناقضه، ولكنه استخدم التقرُّيع بأسلوب مؤدب للمحاور الذي لا يهدف من أسئلته إلا التحدي، وليس للوصول إلى الحق، والاستفادة من الإجابات عنها، ومع كل ذلك يسمع الرسول - ﷺ - وينصت ويحجب بدون كلل أو ملل، بل ويبلغ الحوار أجل غايات الأدب عندما يستخدم - ﷺ - الأسلوب العاطفي حيث ينتصر لليهودي المعادي عندما قال: (إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي) ومع ذلك نجد أن اليهودي لا يجدي معه الإنصاف والرحمة والعدل، فينصرف في نهاية الحوار مع إقراره بأنه نبي وأنه صادق في نبوته، ومع كل ذلك لم يدخل

(١) مسلم - صلاة المسافرين وقصرها - باب إسلام عمرو بن عبسة (٤ / ٨٣٢) .

(٢) مسلم كتاب الحيض - باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (١ / ٨٠٥) رقم (٣١٥) .

في الإسلام، فلم يكرهه الرسول - ﷺ - بل تركه يختار ما يشاء، ثم يُذيل الرسول - ﷺ - الحوار بعدم علمه بالأمر التي سأل عنها اليهودي إلى أن أتاه الله بها، فما أعظمه من تواضع ورفعة وخلق نبيل!!

ثالثاً: السيطرة على المشاعر في مواقف الغضب: تقول عائشة - رضي الله عنها - : إن اليهود أتوا النبي - ﷺ - فقالوا: السأم عليكم أي (عليكم الموت) قال: وعليكم، فقالت: السأم عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله - ﷺ - مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في^(١) فانظر إلى مدى احترام الآخر إلى درجة العفو عن الإساءة ما لم تدع الضرورة إلى الحزم لإحقاق الحق، فالأصل كما يعلمنا النبي - ﷺ - هو السيطرة على المشاعر في مواقف الغضب، ولذا يستنكر الرد من أم المؤمنين مع وقاحة أولئك اليهود، ويفرق استنكاره عليها بمناداتها باسمها ثم بالكشف لها عن الحقيقة التي غابت عنها بسبب غضبها، فالمطلوب يمكن الوصول إليه بلطف، ولا يحتاج إلى مبارزة بالعبارات العنيفة، ليت شعري يتخذ الدعاة والمصلحون من هذا المنهج النبوي الكريم في دعوتهم، وليت يعرف المتشدقون بالحضارة الغربية مدى خلق النبي - ﷺ - حتى مع الأعداء الحاقدين!!

رابعاً: الترفع عن محاورة الجاهل والمكابر: يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - : (قدم مسيلمة الكذاب في عهد رسول الله - ﷺ - فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته... فأقبل إليه رسول الله - ﷺ - ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله - ﷺ - قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه مارأيت، وهذا ثابت يجيبك عني، ثم انصرف عنه، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - فسألت عن قول رسول الله - ﷺ - : إنك الذي أريت فيه ما رأيت، فأخبرني أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذايين يخرجان من بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة)^(٢) فهذا الحوار يوضح مدى الكفر والجهل والمكابرة من مسيلمة، فترفع الرسول - ﷺ - عن محاورته، ومع ذلك لم يمنعه - ﷺ - من مراعاة حرته في الاختيار بين الحق والباطل، فلم يقتله وكان من حقه - ﷺ - أن يقتله لأنه طلب طلباً خطيراً وعظيماً، حيث أراد من الرسول - ﷺ - أن يجعل النبوة له من بعده وحاشاه - ﷺ - أن يفعل ذلك، واقتصر الرسول - ﷺ - على رفض عرضه بصورة حازمة، وبأسلوب مماثل مبني على الصورة الافتراضية (إن جعل لي محمد... ويقابله: لو سألتني هذه القطعة...) فيعبر ببلاغة عالية عن تحقير شأن المحاور الجاهل المكابر، ويزيده على ذلك أن يترك أحد أتباعه يرد عليه، أخذاً بقول الله - تعالى - : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّعْنِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] فما أحلمك يا رسول الله وما أنبل أخلاقك.

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري في الأنبياء - باب علامات النبوة في الإسلام (٦/ ٦١)، ومسلم في الرؤيا - باب رؤية النبي - ﷺ - رقم (٢٢٧٣)

خامساً: قبول الرأي المخالف: تقول زينب بنت جحش - رضي الله عنها -: (عندما شرع الرسول - ﷺ - في الصلح مع غطفان بعد أن اشتد البلاء على المسلمين فاتفق مع قائديها على إعطائها ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه - ﷺ - وأصحابه فلما أراد رسول الله - ﷺ - أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قُرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا (والله) مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله - ﷺ - فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا^(١) فالرسول - ﷺ - لم يحكم بالفطرة الإنسانية التي يجدها الإنسان في نفسه فيتمسك برأيه، وكأن رأيه أصبح جزءاً من كيانه، بل أخذ بالرأي الأصوب والأحسن، ففي هذا الحوار تحاور الرسول - ﷺ - مع أصحابه ورأى أحدهم غير ما رأى رسول الله - ﷺ - فاقتنع برأيه، ونزل على رغبته، ونُحيت صحيفة الاتفاق، ولم يمنع رسول الله - ﷺ - ذاك ما يمنع بعض كبرائنا اليوم من التحرج أو الخجل من كون الآخر قدم ما هو أنسب وأنفع، ومن أجمل الحوارات للرسول - ﷺ - التي توضح قبوله للرأي المخالف موقفه في صلح الحديبية سنة ست للهجرة، عندما قال الرسول - ﷺ -: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله - ﷺ -: اكتب باسمك اللهم فكتبها، ثم قال: أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال رسول الله - ﷺ -: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو)^(٢) فلقد تفهم النبي - ﷺ - الموقف وأدرك أن الجهل هو الذي دفعه إلى ذلك القول ولو علم لقاها وفعل بها، فتجاوز عما كان دافعه الجهل في حرص منه - ﷺ - على إيجاد محاور التقاء فحقق غاية ذلك الحوار، بتنازله لرأي المخالف رغم ما أثير حوله من الجدل والخلاف، وتم عقد الصلح بما حمل من فائدة مستقبلية للإسلام والمسلمين، فكان فتحاً عظيماً.

سادساً: نبذ العنصرية والتعصب في الحوار: عن جابر - رضي الله عنه - قال: (كنا في غزاة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فصرخ الأنصاري يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجري يا معشر المهاجرين، فقال رسول الله - ﷺ - حين سمع تلك الدعوة وسأل مستنكراً: (ما هذا دعوى أهل الجاهلية وأنا بينكم)^(٣) ودعا إلى الصلح ونصرة المظلوم ونهي الظالم، فانظر إليه - ﷺ - كيف استنكر التعصب مع أنه صدر من خيرة الناس ولم يقبل به وحذر منه بأسلوب بليغ وجيز، وقد بلغ من أدب الرسول - ﷺ - أنه لم يتعصب حتى ضد الشيطان بل إنه انصفه مع حوار مع أبي هريرة -

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١٠٢٣/٣-١٠٣٤)

(٢) مسلم كتاب الجهاد والسير - باب صلح الحديبية رقم (١٢/١٣٥-١٣٦)

(٣) البخاري في الجزية والموادعة - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب رقم (٢٦٠٢)

رضي الله عنه - فقال له: (أما أنه صدقك وهو كذوب)^(١) فالرسول - ﷺ - يجتنب التعصب لوجهة نظره، ولا يتمسك بفكرة أو قناعة يرفض مخالفتها إذا لم تكن مخالفة للدين.

سابعاً: الحرص على السلام الاجتماعي: (لقد عاد زيد بن أرقم إلى رسول الله - ﷺ - يخبره بمقولة قالها عبد الله بن أبي... (أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) وذلك بعد فراغ رسول الله - ﷺ - من غزوة بني المصطلق، فأخبره زيد فنجدته يراجع الفتى أكثر من مرة فقال: يا غلام لعلك غضبت عليه، قال: والله يا رسول الله لقد سمعت منه، فيقول عمر: مر به عباد بن بشر فيقتله، فقال له رسول الله - ﷺ - فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا)^(٢) فانظر إليه - ﷺ - في حوارنا إننا نشاهد حرصاً على حفظ الأمن والسلام في المجتمع، فلا يريد أن يطلق الخبر حتى يتأكد من صحته، لذا يراجع الفتى أكثر من مرة، ويحاول أن يتثبت بشكل آخر فيعطيه مساحة لفرصة التراجع في حالة عدم صدقه ويقينه فيقول له: لعله أخطأ سمعك؟ فليس الأمر أمر عدم تصديق بل هو حسن إدارة الحوار بما يخدم المجتمع الناشئ وإتاحة الفرصة لمزيد من تدبر الأمر، ولما كانت الكلمة التي قالها عبد الله تثير النفوس المؤمنة وتشعل غضبها، فعندها قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله - ﷺ -: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا، ثم يقوم الرسول - ﷺ - بأمره لجيشه بالرحيل في ساعة لم يكن رسول الله - ﷺ - يرتحل فيها، فارتحل الناس، لأنه أراد أن لا ينشغل الجيش بالقليل والقال إلى أن يهدأ أثر مقولة المنافق في النفوس ومن ثم يهدأ الأمر، فقد نظر الرسول - ﷺ - إلى أمر بعيد فالمجتمع غير مهيء لقتل المنافق وربما أثار لجة بين مؤيد ومعارض، بل سيقال: يقتل محمد أصحابه دون أن يفسروا الداعي، ولننظر إلى لفظة أصحابه بما تحمله من دلالات لن يقال ذلك إلا لإثارة الفتنة، أما الرحيل فكان لشغل الناس عن هذا الحديث وكان موعداً مستغرباً من قبلهم حتى جاء أسيد ابن حضير بالخبر، فالرسول - ﷺ - مشى بالناس يومهم حتى أمسوا، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً، فلقد أثر رسول الله - ﷺ - أن يتعب أجسادهم على أن يتركهم يخوضون في حديث قد يتوسع أمره ولم يتثبت فيه بعد، أما هو فقد رأى أن يرسل وسيطاً من الأنصار لابن أبي فقالوا له: إن قلت ما نُقل عنك فأخبر به النبي - ﷺ - ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك، وإن كنت لم تقله فأنت رسول الله - ﷺ - فاعتذر له واحلف ما قلته فحلف ما قاله ثم مشى إلى رسول الله - ﷺ - وهنا واجهه بمقولته فقال: (يا ابن أبي أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني عنك؟ إن كانت سبقت منك مقالة فتب)^(٣) فلقد بدأ الرسول - ﷺ - معه الحوار متلطفاً رغم جلال الخطب، ولم ينه خطابه - ﷺ - إلا بدعوته للتوبة إلى الله، فالحوار بدأ بباب مفتوح للعودة إلى سابقة العهد من المسالمة دون تهديد ووعيد فما كان من الرجل إلا أن نفى وأنكر مقولته ثم نزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي ليتأكد صدق الواقعة، وجاء ولد عبد الله يطلب قتل أبيه حتى لا يقتله غيره، حيث إنه خشى أن يأمر الرسول - ﷺ - غيره فيقتله، فلا تدعه نفسه أن ينظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس

(١) البخاري كتاب الزكاة - باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل (٣٨٤-٣٨٢/٤).

(٢) البخاري كتاب التفسير - باب (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) (٥٢٨ / ٨) (٥٢٩).

(٣) انظر المصدر السابق .

فيقتله فيقتل رجلاً مؤمناً بكافر فيدخل النار، فقال رسول الله - ﷺ -: (بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا)^(١) فكان في رد الرسول - ﷺ - حرص على السلام الاجتماعي، وعدم إشعال الفتنة في المجتمع الجديد، ودرس في التسامح الديني، أما قوم ابن أبي فهم الذين أخذوا يعاتبونه وينكرون قوله، فقال رسول الله - ﷺ - لعمر بن الخطاب: كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله، لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته، قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله - ﷺ - أعظم بركة من أمري^(٢) فهذه عاقبة الحكمة والروية في الأمر حيث سلم المجتمع من الفتنة.

ثامناً: التخطيط المحكم لإدارة الحوار: من خصائص منهج حوار الرسول - ﷺ - التخطيط المحكم لإدارة الموقف، ولعل من أبرز تلك المواقف موقفه مع الأنصار بعد أن خص المؤلف قلوبهم من قريش وسائر العرب بالغنائم حتى كثر القيل والقال بين الأنصار، فبلغ رسول الله - ﷺ - قولهم فطلب من سعد بن عبادة جمعهم في حظيرة، فخرج سعد لجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، حيث أراد الرسول - ﷺ - أن يضيق دائرة الخلاف وألا يتركها تتوسع ويزداد الجدل فيها بدخول أطراف لا شأن لهم بالحدث، فأراد أن يحصر الحوار مع الذين وجدوا في أنفسهم شيئاً مما فعل رسول الله - ﷺ -، إنه ليس سرية الحوار، لأن الحديث سيداع بمجرد انتهاء الاجتماع، ولكنه التخطيط المحكم لاحتواء الأمر واختصاص أهله به لإنجاحه، فلقد اتسم ذلك الحوار بالمصارحة وقراءة أغوار نفس الآخرين فبلغ غايته المنشودة حيث إنهم اقتنعوا ورضوا في قسمة الغنائم، بل جعلهم يكون ويقولون في سعادة وسرور: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، وذلك أنه - ﷺ - قدر فضلهم ومكانتهم ووقوفهم إلى جانبه ومؤازرته إياه في دعوته^(٣).

تاسعاً: مراعاة المشاعر: لقد بلغ هذا الموقف الإنساني من الرسول - ﷺ - غايته، وبلغ مأربه وهذا ما حصل مع زينب بنت رسول الله - ﷺ - في المدينة، حيث ظل زوجها بمكة، وعندما خرج للتجارة بالشام بأموال له ولقريش، فلما فرغ من تجارته وأراد العودة إلى مكة أصابت سرية من أصحاب رسول الله - ﷺ - ما معه وفر هارباً، ودخل على بيت زينب - رضي الله عنها - مستجيراً فأجارتها، وجاء يطلب ماله، فلما خرج رسول الله - ﷺ - لصلاة الصبح كبر وكبر الناس معه، صرخت زينب من صفة النساء: أيها الناس: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله - ﷺ - من الصلاة أقبل على الناس فقال: (أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم، قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أذنهم، ثم انصرف رسول الله - ﷺ - فدخل على ابنته، فقال: أي بني، أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له)^(٤) فلقد تعجب الرسول - ﷺ - من الخبر وتفاعلاً بصنيع ابنته ورغم ذلك لم ينكره عليها، بل نراه يدخل عليها مترفقاً بما يبدوا ذلك في ندائه: (أي بني) ثم يطمئنها بإقرار إجارتها لزوجها، ويأمرها بحسن ضيافته منبهاً إياها بتلميح رفيق رفيق بحرمة الخلوة الزوجية به - إذ لا يزال على كفره - كما أنه - ﷺ - يعينها

(١) السير النبوية لابن هشام (١١٦/٢)، السيرة الحلبية للحلي (٥٨٣/٢).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١١٦/٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٧٠٠/٢).

ويناصرها في إجارتها له، فقد بعث إلى السرية التي أصابت مال أبي العاص قائلاً: (إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به، فقالوا: يا رسول الله: بل نرده عليه، فردوه عليه... حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً، فهنا الرسول - ﷺ - وضح للمسلمين أن من حقهم الاحتفاظ بغنيمتهم، أو يحییوا لطلبه، لكنه استخدم لفظاً من شأنه أن يرجح الآخر، (إننا نحب) وإذا بالسرية تأتي إلا أن تحقق ما يحبه - ﷺ - ثم عاد أبو العاص إلى مكة بعد تحريره تجارته وأعاد لكل ذي مال ماله من قريش، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه، فقالوا: لا فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيّاً كريماً، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت^(١) فهذه ثمار التروي في الأمور والتلطف في حوار ظهر فيه مشاعر المرأة فلم تكره على التخلي عن جبلتها التي خلقها الله عليها - بما لا يخالف مبادئ الشرع الحنيف - لقد أسلم أبو العاص وعادت الحياة الزوجية بين زوجين متحابين ثانية ولكن في ظل الإسلام، ولم يكن شأن الرسول - ﷺ - مراعياً لمشاعر ابنته فقط ولكن كان ديدنه مراعاة مشاعر الآخرين، وهذا ما حصل مع سفانة بنت حاتم الطائي، فقد كانت ضمن أسيرات فكساها وحملها وأعطاهها نفقة حتى قدمت الشام، فلقد ترفق - ﷺ - بالمرأة الأسيرة عندما خاطبته وتوسلت إليه بفكها وكفّر مكانتها وشعورها لما عُرف من فضل وكرم لأبيها فحقق رغبتها باطلاقها، بل حرص على تأمين مركبها بالاطمئنان إلى من يصحبها في رحلة عودتها تمشياً مع تعاليم الدين الحنيف، لم يكن ذلك فحسب، بل وحملها الأعطيات والنفقات في رحلتها إلى الشام، فدفعها ذلك إلى تشجيع أخيها عدي بن حاتم للقدوم على رسول الله - ﷺ - إلى المدينة والدخول في الإسلام، فلذا كان رسول الله - ﷺ - يراعي مشاعر الآخرين ولا يؤذيهم بكلمة.

عاشراً: مراعاة الأولويات: يقول أبو رفاعه - رضي الله عنه -: (انتهيتُ إلى النبي - ﷺ - وهو يخطبُ قال: يا رسول الله! رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه، قال: فأقبل علي رسول الله - ﷺ - وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتى بكرسي حسبتُ قوائمه حديداً، فقعده عليه وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها^(٢) فيلاحظ أن النبي - ﷺ - قد راعى الأولوية بترك الخطبة والإقبال على السائل، يقول النووي - يرحمه الله -: (وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور)^(٣) فلذا كان - ﷺ - يراعي الأهم فالمهم في حواراته الدعوية، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: (أن أعرابياً أتى النبي - ﷺ - فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان)^(٤) وهناك

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٧٠٠).

(٢) مسلم كتاب الحمية - باب حديث التعليم في الخطبة (٩٠١/١) رقم (٨٧٦).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٥٣/٦).

(٤) البخاري كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة وقول الله - تعالى -: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (٤١٦/١) رقم (١٢٩٧).

الكثير الكثير من مظاهر أخلاقيات الحوار التي كان يتسم بها - ﷺ - لا يستطيع الباحث أن يفني بها لكثرتها وعدم حصرها، فقد كان - ﷺ - يتميز بأخلاق القرآن الكريم والنبوة، فلذا تجدد المظاهر الأخلاقية في كل حوارات النبي - ﷺ - فما من خلق حسن إلا ويتصف به كالمصادقية في الحوار، والاستماع الإيجابي، واختيار الوقت المناسب، وتجنب أسلوب التحدي والتعسف، وتجنب الغضب، ومراعاة سن المحاور وفكره، مع الاهتمام بالتوافق الفطري في التفكير والنفوس، والاعتماد على المناهج الواضحة والأدلة الظاهرة، والاستجابة لما تتطلع إليه النفس الإنسانية وإشباعه لحاجات النفس البشرية، واستعمال الطريقة المثلى للتجاوز مع الآخرين، فيحاور المعارض، وسيد القوم، والجلف^(١) طيب السريرة، والعدواني سيء السريرة، والحيي، والمتكبر، والمتواضع، والمجادل، وذا المطالب الكثيرة، والمرأة، والطفل، والمراهق وغيرهم كثير ويستخدم لكل صنف منهم الطريقة النافعة المجدية، فكان - ﷺ - ملماً محيطاً بكل القضايا، وحكيماً فطناً، فقيهاً، لديه إلمام بالمسائل المطروحة، مدركاً لأهمية الحوار الذي سيخوضه، محيطاً بمعارف شتى من العلوم، متخصصاً بارعاً في إدارة الحوار^(٢) فلذا فإنه ينبغي على المصلحين والدعاة والمجتهدين أن يتجنبوا الأساليب الفظة عند محاوراتهم الآخرين، فعليهم أن يبتعدوا عن أسلوب السخرية والاستهزاء والطعن والتجريح، فما لا شك فيه أن الحوار الذي يدور بين الناس إذا كان قائماً على الأسلوب الحسن والمهذب والعبارات اللطيفة كانت نتائجه طيبة وآثاره حميدة ويؤدي إلى تضيق الهوة بين الأطراف المتحاوره مهما كانت واسعة، وإلى الاتفاق في معظم الأحوال مهما كانت الحوافز قوية، ومهما كان في نفوسهم من عناد أو حقد أو مكابرة وهذا ما يشير إليه قول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] أما إذا تخلل الحوار غليظ القول، ورفع الصوت، والغرور والتعالي، والتفاخر، واتهام الآخر بالفسق والضلال، فإن هذا النوع من الحوار لا يتولد منه سوى الجفوة والعداء وزيادة هوة الخلاف، ولذا كان المصطفى - ﷺ - قدوة الأولين والآخرين يقول عنه أنس بن مالك - رضي الله عنه -: (لم يكن النبي - ﷺ - سباباً، ولا فحاشاً، ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ماله ترب جبينه)^(٣) بأبي هو وأمي ما أجمل قوله وحواره وما أحسنه عند غضبه وعتابه، وعند رضائه وصفائه، فينبغي أن يعلم الداعية المسلم أنه لا يكون مسلماً حقاً إلا إذا أصبحت عقيدته مهيمنة على أخلاقه وسلوكه، فيكون نزيهاً في أقواله وأفعاله، فلربما كان لحسن خلقه أثر عظيم من قوة حجته^(٤).

المطلب الثامن: حريات ضمنتها الحوارات النبوية:

إن أبرز الحريات المضمونة في الحوارات النبوية - سواءً كان الحوار خاصاً بالنبي - ﷺ - أو غيره من الأنبياء - صلى الله عليهم - ثلاثة أنواع:

(١) الجلف: أي الجاف. انظر مختار الصحاح (٥٧).

(٢) دور الحوار التربوي في وقاية الشباب (١٥٨).

(٣) البخاري كتاب الأدب - باب لم يكن النبي - ﷺ - فاحشاً ولا متفحشاً (١٩٠٦/٤) رقم (٦٠٣١).

(٤) أخلاقيات الحوار للشيخ (٧٣).

أولاً: حرية اختيار الدين: تنطلق الحرية في اختيار الدين من قول الله - تعالى - : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ومع حرص النبي - ﷺ - على إسلام جميع المخلوقات المكلفة فإنه كان يراعي الحرية الفردية للمخاطب في اختيار ما يريد ويقتنع به، على أن يتحمل مسؤولية قراره، لهذا نجد أن الأسلوب النبوي مع الكافرين يتدرج من الإجابات والتعليقات المباشرة المختصرة، ثم التعليم لمن يبدي رغبته في الإسلام ومحاولة إقناع المسلمين منهم، أو تأليف قلوبهم، ثم الذود عن الإسلام، ولكن بأسلوب يوازن بين الإشفاق والحزم، بما يتناسب مع حالة المحاور الآخر، ويلاحظ على الأسلوب النبوي أن النبي - ﷺ - في حوار مع من يأتيه مستفسراً عن الإسلام، استعمل الإجابات المختصرة المباشرة التي ترغب في الإسلام والتركيز على مسألة التوحيد وما تدعو إليه الفطرة من أخلاق نبيلة، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

أ. إن في الحوار الآتي يظهر الحلم النبوي جلياً، حيث يتأدب النبي - ﷺ - مع المحاور الآخر الحشن في أسلوبه، ثم تأتي الإجابات المباشرة المختصرة التي تفي بالغرض، يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - : (جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: (صدق) قال: فمن خلق السماء؟ قال (الله)، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: (الله) قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال (الله) قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آله أرسلك؟ قال: (اللهم نعم) قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: (صدق) قال: فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟ قال: (نعم) قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا قال: (صدق) قال: فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟ قال: (نعم) قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال: (صدق) قال: فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟ قال: (نعم) قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال: (صدق) ثم ولى وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي - ﷺ - : لئن صدق ليدخلن الجنة^(١) فلقد استوعب النبي - ﷺ - بدائية البدوي التي ظهرت في أسلوب طرحه للأسئلة، فتلطف معه وخاطبه على قدرة تفكيره وجفافه، فكانت إجابته - ﷺ - وجيزة لا تحمل مؤكدات وتتجلى البلاغة النبوية في الإجابة المتنقلة بين نعم واللهم نعم، إنها الدقة المنشودة في إدارة الحوار فلا ثرثرة غير مجدية، ولا اختصار مخلأ، وكانت محصلة الحوار أن انصرف الرجل إلى قومه، وما أمسى من الحي من ذلك اليوم رجل أو امرأة إلا مسلماً^(٢).

ب. في النص الآتي نجد أن بعض الناس تأبى قلوبهم ونفوسهم قبول الحق والخير إن كان مرغماً عليه، ولكن يأسرهم المعروف ويقدرونه حق تقديره، وهنا تظهر مراعاة النبي - ﷺ - لتلك الشخصيات فيراعي حرية الطرف الآخر مع حرصه على إسلامها جلياً، فيختار - ﷺ - الإسلام المحتمل للطرف الآخر، بدلاً أن يختار العوض المالي المضمون، أما قتل الكافر فلم يكن يوماً من الأيام هدفاً للإسلام وإنما هو اجراء اضطراري، وهذا ما يوضحه الحوار الآتي، يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - : (بعث النبي - ﷺ - خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن

(١) البخاري كتاب العلم - باب ما جاء في العلم ح (٦٣)، مسلم الإيمان - باب أركان الإسلام (١/ ١٧٠ - ١٧١)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٤٢٩)

أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي - ﷺ - فقال: (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه حتى كان الغد ثم قال له: (ما عندك يا ثمامة؟) قال: قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي ما قلت لك، فقال: اطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله - ﷺ - وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكني أسلمت مع محمد رسول الله - ﷺ - ولا والله لا يأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي - ﷺ -) (١) لقد طرح الرسول - ﷺ - الأمر على ثمامة وعادته مرات متعاقبة مع أيام ثلاثة مكرراً السؤال نفسه ما عندك يا ثمامة؟ فأملهه فرصة التفكير، حيث يسمح الزمن، ولكنه ليس الطرح الممتد، فلا مجال عند رسول الله - ﷺ - لترك الفكرة مطروحة لوقت طويل ولا لزمن مفتوح حتى لا تفقد قيمتها أو تستغل فيتلاعب بها، فقد أكرم الأسير وأمر بالإحسان إليه بقوله: أحسنوا إيساره، ورجع رسول الله - ﷺ - إلى أهله فقال: اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وأمر بلقحته أن يُغدى عليه بها ويراح، فكان لإكرام رسول الله - ﷺ - له بما في بيته وتلفظه معه في الطرح وعدم التنكيل به في أسره ثم إطلاق سراحه بلا قيد أو شرط موقع طيب في نفسه دفعه لأن يكون توجهه بعد الإطلاق إلى حيث التطهر لإعلان الإسلام.

ج. يبرز الحرص على حرية الآخر في صلح الحديبية حيث كان المسلمون قادرين على قتال قريش، ودخول مكة بالقوة، ولكن النبي - ﷺ - كان يسعى إلى ما هو أبعد من القتال فكان هدفه ضمان حرية الدعوة إلى الإسلام، وأمان المسلمين والحصول على فرصة لإقناع الآخرين بالإسلام سواءً أكانوا في الأصل معادين للإسلام أم محايدين، لهذا قدم التنازلات اللازمة لتحقيق هدفه، فعندما جاء سهيل بن عمرو فقال: (هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً فداك النبي - ﷺ -) - الكاتب فقال النبي - ﷺ - : بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا يكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي - ﷺ - : اكتب باسمك اللهم، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي - ﷺ - : والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله... (٢) فكانت نتيجة هذا الحوار العظيم أن فتح الله - تعالى - على المؤمنين فتحاً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجاً فانظر إلى أثر حوار النبي - ﷺ - ونتائجه الفذة، حيث إن الرسول

(١) البخاري الخصومات كتاب المغازي - باب وفد بني حنيفة ح (٤٣٧٢)، ومسلم كتاب الجهاد - باب ربط الأسير وحبيه ح (١٧٦٤)

(٢) البخاري الجزية والمواذعة - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم (٢٦٠٢).

- ﷺ - أكد على القواسم المشتركة ليؤكد منهج الإسلام في توطيد السلام، وتحقيق مبدأ التعارف بين الناس، وبقاء المحبة من خلال عدالة التعامل ونزاهة السلوك، وعلى هذا الأساس أرسى النبي - ﷺ - أسس التعايش مع الآخرين، لأهمية ذلك في بناء وتأسيس الاستقرار الذي هو من أهم عوامل النهوض والبناء، وهو أسلوب فطن، يدل على حسن الفهم، والعمق في الوعي والإدراك، الذي هو جماع الحكمة التي أمر الله - عز وجل - بها عند المحاورة، فيترتب على هذه الوسيلة محاولة إبراز أهمية التكامل بين الأطراف المختلفة وتأكيد أهمية إيجاد إطار مشترك من خلال دعم وتعزيز التوجهات التي تؤمن بالتعايش والتفاعل والاحترام المتبادل بين الشعوب والأمم والحضارات، فليرى المتشدقون بالحضارة الغربية مدى سعة أفق محمد-ﷺ-

ثانياً: حرية اختيار الدرجات: من حكمة الله أن منح الإنسان فرصة للتنافس في فعل الخيرات أو الشرور، وذلك ليحصل كل مخلوق على الدرجة التي يستحقها من المكافأة أو العقوبة، وليكن هناك تكامل في المجتمعات، يخدم الأفراد فيها بعضهم بعضاً، ومن حق الإنسان التضحية بماله ووقته وجهده سعيًا إلى الأفضل، ولكن ليس من حقه إجبار الآخرين على ذلك، ويدرك النبي - ﷺ - إن هناك فرضاً وهناك نافلة فلا يتشدد في النوافل تشديده في الفرائض، ويترك أمر النوافل إلى حرية المسلم في الاختيار، ويظهر ذلك من النص الآتي:

أ. يقول علي - رضي الله عنه: (إن رسول الله - ﷺ - طرده وفاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله - ﷺ - فقال: ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله - ﷺ - حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئاً ثم سمعه وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(١) فالنبي - ﷺ - لم يردد عليهما الأمر لعلمه بأن الأمر نافلة فمن شاء فعلها وله الدرجة، ومن لم يشأ فلا ذنب عليه. ب. أن النبي - ﷺ - حاور الآخر الذي أراد أن يرتفع بالدرجات والحسنات إلى منزلة رفيعة فوضح له الأفضل والأحسن والأخير دون أن يكرهه على أمر ما، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال لي رسول الله - ﷺ -: (يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك^(٢) عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذا ذلك صيام الدهر كله فتشددت فتشدد علي، حيث قلت يا رسول الله: إني أجد قوة، قال: فصم صيام نبي الله داود - عليه السلام - ولا تزد عليه، قلت: وما كان صيام نبي الله داود - عليه السلام - قال: نصف الدهر، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر ياليتني قبلت رخصة النبي - ﷺ -)^(٣) فالرسول - ﷺ - أراد أن يخفف عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - فحثه على صوم ثلاثة أيام فقط من الشهر فلما أراد عبد الله أن يزيد وضح له أنه لا يزيد عن صوم يوم وإفطار يوم وذلك أفضل الصيام، ومنعه من الأمر

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول الله - تعالى - ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ حديث رقم (٦٨٠١).

(٢) لزورك: بفتح الزاي وسكون الواو لضيفك، والزور مصدر وضع موضع الاسم صوم في موضع صائم، ونوم في موضع نائم، ويقال للواحد والجمع والذكر والأنثى، ويحتمل أن يكون زور جمع زائر كركب جمع راكب، وتجرجع تاجر. انظر في الباري (١٧٧/٤)

(٣) البخاري النكاح - باب لزوجك عليك حق (٢٤٥/٩)، ومسلم الصيام - باب النهي عن صوم الدهر رقم (١١٥٩).

المحرم وهو صيام الدهر كله، فالنبي - ﷺ - يترك للآخر أن يختار الدرجات ما لم يحصل فيها مفسدة أو ارتكاب أمر محرم، يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - : (جاء ثلاثة رهط بيوت أزواج النبي - ﷺ - يسألون عن عبادة النبي - ﷺ - ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي - ﷺ - قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله - ﷺ - فقال: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (١).

ثالثاً: حرية المراجعة:

بحكم الفطرة الإنسانية يجد الإنسان نفسه متمسكاً برأيه، وكأن رأيه أصبح جزءاً من كيانه، وإذا بالرأي يتحول إلى قضية مُسلم بها وبذلك يتعطل الحوار وتتوقف آلياته، لذا فإن النبي - ﷺ - كان حريصاً على محاولة إقناع من يحاوره بإيراد بعض الأسباب، وهذا مع أنه إما مبلغ عن الله - تعالى - أو مشرع، لذا فإنه كان - ﷺ - يوفر البيئة المثالية بينه وبين المتحاورين بحيث يراجعونه، بدون حذر، في المعلومات التي ينقلها إليهم، فعندما يسألونه ليعرفوا ثم يراجعونه إذا أخبرهم ومع هذا لا يغضب، ولكنه يعقب على مراجعتهم بهدوء إما بالتوضيح أو بالاستفهام، ومن الأمثلة:

أ. تقول عائشة - رضي الله عنها - : (سأل ناس رسول الله - ﷺ - عن الكهان فقال: ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله: إنهم يحدّثونا أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقال رسول الله - ﷺ - : تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجنّي فيقرّها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة) (٢).

ب. الحوار الآتي يوضح أن المحاور الآخر قد يلح في المجادلة عن وجهة نظره، ولكن النبي - ﷺ - يستخدم طريقة ليس هناك طريقة أنجح منها، حيث جعله يرد على رأيه بنفسه، وهنا تظهر براعة النبي - ﷺ - في تجسيد الأمر المنبوذ برسم صورة له، ترفضها الفطرة فوراً، يقول عطاء بن يسار أن رسول الله - ﷺ - سأله رجل فقال: يا رسول الله استأذن على أُمّي؟ فقال: نعم، قال الرجل: إني معها في البيت، فقال رسول الله - ﷺ - : استأذن عليها، فقال الرجل: إني خادمها فقال له رسول الله - ﷺ - : استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا، قال فاستأذن عليها) (٣) فلم يتضايق النبي - ﷺ - من المراجعة ولكن وضح للمحاور الآخر أن رأيه خطأ ولا بد من تصحيحه.

ج. الحوار الآتي يبرز لنا أيضاً مدى إتساع صدر النبي - ﷺ - لمراجعة الآخرين، يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - ﷺ - : (لا عدوى ولا صفر ولا هامة) فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيحرّبها كلها؟ قال: فمن أعدى الأول) (٤) فالنبي - ﷺ - لم يغضب من مراجعة الأعرابي ولكنه عقب على مراجعته بهدوء باستفهام ليؤكد أن الأمر كله بيد الله في نهاية المطاف.

(١) البخاري كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح - ح (٥٠٦٣) (١٦٣١/٢).

(٢) البخاري الطب - باب الكهانة (١٧٦/١٠).

(٣) مالك الجامع رقم (١٥١٩).

(٤) البخاري الطب - باب الطيرة (١٧٤/١٠).

د. أما الحوار الآتي: يظهر استغراب الصحابي من أمر أخبر به النبي - ﷺ - وكان الجمع كبيراً، والسؤال مهماً فيرى النبي - ﷺ - إنها فرصة مناسبة للوعظ والتذكير يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - : (إن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)^(١) فيأتي النبي - ﷺ - بالاستفهام الاستفساري المدعم بالدليل العقلي ليجيب عن سؤال يتعجب فيه المسلم من خبر لم يألف له شبيهاً في هذه الحياة الدنيا، ناسياً أن الحياة الآخرة تختلف عن الحياة الدنيا في كثير من الأمور، وأن الله على كل شيء قدير، فيوضح له النبي - ﷺ - في محاورته بالبرهان العقلي قدرة الله على ذلك الأمر. هـ. بل قد وصلت حرية المراجعة عند النبي - ﷺ - أن يتجاوب ويقبل بتقديم البديل، مع أنه من المعلوم أن أمر النبي - ﷺ - يُعد تشريعاً واجب التنفيذ، يقول أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - إن النبي - ﷺ - قال: (إياكم والجلوس بالطرقات، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا من بُد نتحدث فيها، فقال: إذ أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(٢) فليت الدعاة ينهلون من هذا النهل المبارك فلا يتمسكون بأقوالهم وآرائهم التي يمكن أن يُقال عنها أنها محل اختلاف، ويضربون عرض الحائط بأيسر قواعد الحوار المتمثلة في المقولة المشهورة: قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب.

و. أما الحوار الآتي فيوضح أن النبي - ﷺ - لا يقف عند تقبل النقد، ولكن يؤكد أنه مستعد للتراجع عند تبينه للأفضل، وإن كان قد أقسم عليه، يقول أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - : (جئت إلى رسول الله - ﷺ - في رهط من الأشعريين نستحملة، فقال: والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه، فلبثنا ما شاء الله فأتى رسول الله - ﷺ - - بنهب إبل، فدعا بنا فأمر لنا بخمس ...، فلما انطلقنا قال بعضنا لبعض: أغفلنا رسول الله - ﷺ - - يمينه لا يبارك لنا فرجعنا إليه، فقلنا: يا رسول الله إنا اتيناك نستحملك وإنك حلفت أن لا تحملنا ثم حملتنا أفنسيت يا رسول الله؟ قال: إني والله إن شاء الله لا، أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها فانطلقوا فإنما حملكم الله - عز وجل -)^(٣) فالحوار يوضح مدى تقبل النبي - ﷺ - للنقد والمراجعة وإن كان قد أقسم على الأمر، ويزيل الشعور بالذنب عند الطرف الآخر، ويعلمه القاعدة في تغيير الرأي وفضل تغيير الرأي إلى ما هو أفضل وإن أقسم على الرأي الأول مع ضرورة التحلل من قسمه، فالرجوع إلى الحق فضيلة وإن كان هو صاحب السلطة التنفيذية والتشريعية وذلك بخلاف السائد عند من يتولى أمر النصيحة والإرشاد في الغالب، بل المتبع لسيرة الرسول - ﷺ - - يجد أنه حرص على طلب المشورة من صحابته في بعض المسائل والقضايا التي تعرض له فيما لا

(١) البخاري كتاب الرقاق - باب الحشر (١١ / ٣٣٤)، مسلم كتاب الجنة - باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة رقم (٢٨٥٩)

(٢) البخاري الاستئذان - باب قول الله - تعالى - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا...) حديث رقم (٥٧٦١).

(٣) البخاري في التفسير - باب قوله (لا يؤاخذكم الله بالغو في أيمانكم) (٨ / ٢٢١)

نص فيها ويسمع لآرائهم ووجهات نظرهم، ويعمل بما إذا لم تخالف الحق، ولذلك يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - : (ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله - ﷺ) - (١).

المبحث الثاني: نماذج حوارية من سيرة الرسول - ﷺ - وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حوار النبي - ﷺ - مع المشركين وأثر ذلك في قبولهم:

لقد انخرط المشركون من حيث لم يشعروا في عملية الحوار مع النبي - ﷺ - وانساقوا نحوها غير متبهرين، وخاضوا فيها منجذبين بسحرها وجمال رونقها، ولئن سفهوا النبي - ﷺ - ومنعوه من نشر الحق الذي معه، وعذبوا أصحابه، وقتلوا بعضهم، وآذوه في نفسه وولده وماله، ورفضوا الاستماع إليه والتحاور، فإنهم سواء شعروا أو لم يشعروا، ومع أنهم عاجزون عن وقف حركة الدعوة، ولم ينجحوا في مقاومة هالة النور التي يشعها الحق الذي يحمله صاحبه - ﷺ - إلا أنهم تركوا للتاريخ حوارات في غاية الروعة والجمال ولعل من أكثر الأمثلة التي توضح ذلك:

أ. لما ظهر - ﷺ - بدعوته بين الناس جعلت قريش تحاول حربه بكل سبيل، وكان مما بذلته أن تشاور كبارها في التعامل مع دعوته - ﷺ - وتسارع الناس للإيمان به، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحرة والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، وكان عتبة سيداً حليماً، فقال: يا معشر قريش أترون أن أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها، قالوا: نعم يا أبا الوليد، فقام عتبة وتوجه إلى الرسول - ﷺ - فدخل عليه فإذا هو - ﷺ - جالس بكل سكينة، فلما وقف عتبة بين يديه قال: يا محمد: أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله - ﷺ - تأدباً مع أبيه، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت - ﷺ - تأدباً مع جده عبد المطلب، فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع ذلك، وقبل أن يجيب النبي - ﷺ - بكلمة ثار عتبة وقال: إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك!! فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم إن في قريش ساحراً، وإن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا صيحة الجبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، كان عتبة متغيراً غضبان، والنبي - ﷺ - يستمع بكل أدب، وبدأ عتبة يُقدم اغراءات ليتخلى النبي - ﷺ - عن الدعوة، فقال: أيها الرجل إن كنت جئت بالذي جئت به لأجل المال جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان بك حب الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان إنما بك رغبة في النساء فأختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤياً من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، ومضى عتبة يتكلم بهذا الأسلوب السيء مع رسول الله - ﷺ - ويعرض عليه عروضاً ويغريه والنبي - ﷺ - ينصت إليه بكل هدوء، سكت عتبة وهو ينتظر الجواب، فرفع النبي - ﷺ - بصره إليه وقال: بكل هدوء أفرغت يا أبا الوليد؟ لم يستغرب عتبة هذا الأدب من

(١) البيهقي في السنن الكبرى - كتاب النكاح - باب ما أمره الله - تعالى - به من المشورة (٤٥/٧-٤٦).

الصادق الأمين بل قال : باختصار نعم، فقال - ﷺ - فاسمع مني، قال: أفعل، فقال - ﷺ - : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حَم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت: ١-٤] وفجأة جلس عتبة على الأرض ثم أهتز جسمه فألقى يديه خلف ظهره وأتكأ عليها وهو يستمع ويستمع، والنبي - ﷺ - يتلو ويتلو حتى بلغ قوله - تعالى - : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُودٌ ﴾ [فصلت: ١٣] فانتفض عتبة لما سمع التهديد بالعذاب وقفز ووضع يديه على فم رسول الله - ﷺ - ليوقف القراءة، فاستمر - ﷺ - يتلو الآيات حتى انتهى إلى الآية التي فيها سجدة التلاوة فسجد ثم رفع رأسه من سجوده ونظر إلى عتبة وقال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: أنت وذاك، فقام عتبة يمشي إلى أصحابه وهم ينتظرونه متشوقين، فلما أقبل عليهم قال بعضهم لبعض، نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني والله سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وما بين هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم يا قوم، ثم سكت أبو الوليد قليلاً متفكراً وقومه واجمون يحدون النظر إليه فقال: (والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو وما يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، وما يقول هذا بشر وما يقول هذا بشر) ^(١) فالنبي - ﷺ - أحسن الاستماع إليه وبعد مقدمته الطويلة أجاب - ﷺ - في صبر واحتساب، فلما أتم خطابه لم يعاجله الجواب، بل سأله ليتأكد من إتمامه لحديثه، فلما تأكد من إتمامه كلامه اختار أن يكون رده على العرض الذي تقدم به عتبة تلاوة آيات من القرآن الكريم الذي علم أنه أبلغ الكلام وأحلاه وأمتعته، فاسترسل - ﷺ - يربطه بصوت إيمانه ترتيلاً تخشع له القلوب، وتطمئن إليه النفوس، فاكتمت بالتلاوة ولم يزد عليها حرفاً، ثم قال لعتبة: (سمعت يا أبا الوليد؟) قال: نعم قال: (أنت وذاك) أي اختر لنفسك، لقد قلت فسمعت منك، وقلت فاستمعت لي، ولك الآن أن تختار، فقد انجلت لك الحقائق وظهرت لك الأمور، فأثر هذا النموذج الراقي في الحوار حتى جعل من عتبة مستمعاً جيداً حتى أهتز كيانه وتغيرت ملامحه حتى قال له قومه بعد أن عاد إليهم: سحرك يا أبا الوليد، فمع كونه لم يدخل الإسلام لكن نفسه لانت للدين، فتأمل كيف أثر هذا الحوار الرفيع في نفسية الوليد مع كونه كان معرضاً نفسه للتفاهم والمجادلة مع النبي - ﷺ - حتى يثنيه عن رأيه، ومع ذلك في ختام الأمر قال في القرآن الكريم أوصافاً في غاية الجمال والروعة وأكد أن القرآن ليس سحراً ولا كهانة ولا شعراً، وكل ذلك التأثير لقوة حوار النبي - ﷺ - معه، فانظر كيف أن النبي - ﷺ - جسد لنا براعته في الحوار وذلك بعدد من الأمور منها: الإنصات الجيد، والنظر إلى الطرف الآخر، والجلوس اتجاهه، وإفراد السمع له وتركيز الذهن معه، ومتابعة عرضه لأفكاره الرئيسية والفرعية، وعدم صرف النظر عنه، وعدم الانشغال بأي صارف أثناء الحديث، ومقاطعة كل المداخلات والخواطر الذهنية، والوضوح في طرح الأفكار.

(١) انظر الحديث عند البيهقي في دلائل الاعتقاد - باب في اثبات نبوة محمد المصطفى - ﷺ - رقم (٢٥)، ودلائل النبوة - باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله - تعالى - من الإعجاز

ب. يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: (إن ضماداً قدم مكة كان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي فلقية فقال: يا محمد إني أرقى من هذه الريح، وإن الله يُشفي على يدي من شاء فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ - : (إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد، فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله ﷺ - ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر^(١) هات يدك أبايعك على الإسلام فبايعه فقال رسول الله ﷺ - : وعلى قومك؟ قال: وعلى قومي^(٢)) ويتضح من الحوار الذي استخدمه النبي ﷺ - مع الكافر أنه تميز بالصبر والحلم على تهمة يوجهها إليه، وهو يعبر عنها بصيغة المتأكد منها، ويبدو أن الأسلوب الذي اختاره النبي ﷺ - كان نابغاً من معرفته لشخصية محاوره، ومعرفته باهتمام أمثاله بالعبارات والألفاظ الجذابة، ولهذا بادره بعبارات قوية لفظاً ومعنى، وتؤكد أن الحمد لله وأن الهداية بيده - سبحانه وتعالى -، وأنه لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله، فلم يملك الطرف الآخر إلا أن يعلن إسلامه، وإسلام قومه معه، فانظر إلى أثر حوار - ﷺ - واختياره الجمل والعبارات الموافقة والمناسبة^(٣)، للمحاور الآخر فلا يستطيع إلا الإذعان والخضوع لما كان يتجمل به النبي ﷺ - من الأوصاف.

ج. عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت للنبي ﷺ -: (يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ليال بن عبد كلال فلم يجبي إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال: يا محمد: إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟^(٤) فقال له الرسول ﷺ -: بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(٥))، فهؤلاء الكفار آذوا الرسول ﷺ - أذى يهون عنده ما أصابه يوم أحد، مع أنه قد استشهد يوم أحد عمه حمزه سيد الشهداء كما استشهد فيها سبعون صحابياً، ومع ذلك فإن الذي ناله يوم العقبة من كفار قريش كان أشد عليه من ذلك كله فقد تعامل مع الموقف تعامل راقياً حينما نزل إليه جبريل - عليه السلام - ومعه ملك الجبال، وعرض عليه أن يطبق الأخشبين على هؤلاء الكفار، فكان جواب الرسول ﷺ - جواب المتسامح والقُدوة

(١) ناعوس البحر: أي وسطه ولجته، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٠/٥).

(٢) مسلم كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم (١٤٩١).

(٣) دور الحوار في وقاية الشباب (٦٢/٢).

(٤) الأخشبان: هما بفتح الهمزة وبالحاء والشين المعجمتين، وهما جبلا مكة، أبو قيس والجبل الذي يقابله. انظر شرح صحيح مسلم (١٥٥/٢).

(٥) البخاري كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة ج (٣٢٣١)، ومسلم كتاب الجهاد والسير - باب ما لقي النبي ﷺ - من أذى المشركين ح (١٧٩٥).

الذي يفكر في ذراري هؤلاء لعل الله أن يخرج منهم من يستجيب لدعوته. فحوار الرسول - ﷺ - مع ملك الجبال يوضح حلمه وصبره وسعة أفقه - ﷺ - مع الإساءة المقيمة التي واجهها من أهل الطائف، فكانت النتيجة أن من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه، وهذا ما حصل فقبل وفاته - ﷺ - دخل أهل الطائف في الإسلام وثبتوا حتى بعد وفاته فلم يرتدوا كباقي جزيرة العرب، فانظر إلى مدى عفو وصفح وحلم الرسول - ﷺ - مع المشركين مع كل ما قاموا به ضده.

د. ما قام به الرسول - ﷺ - مع أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - التي قالت: (قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله - ﷺ - فاستفتيت رسول الله - ﷺ - قلت: أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك)^(١) فالحوار وضح لنا إباحة بر الوالدين وإن كانوا مشركين، إذا لم يكونوا أهل حرب، إذ ليس من الإحسان، ولا من المعروف أن يترك المسلم أباه وأمه في غاية الضرورة والفاقة، وهو في غاية الغنى، ولذا ذم الله - تبارك وتعالى - قاطعي الرحم، وعظم قطيعتها، وأوجب حقها وإن كانت كافرة، يقول الله - تعالى -: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] فلذا أمر الرسول - ﷺ - بصلتها وهي مشركة كافرة^(٢) يقول الخطابي - يرحمه الله -: (فيه أن الرحم الكافر توصل من المال ونحوه، كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر، والأم الكافرة، وإن كان الولد مسلماً)^(٣) ويقول ابن حجر - يرحمه الله -: (صلة الرحم واجبة، وإن كانت كافرة فله دينه، وللواصل دينه، وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد، فإن الميراث مبناه على النصرة والموالاتة، بخلاف النفقة، فإنها صلة ومواساة من حقوق القرابة، وقد جعل الله للقرابة حق، وإن كانت كافرة)^(٤)

هـ. من المواقف العملية المؤثرة في باب التسامح أنه لما بعث رسول الله - ﷺ - في مكة، ودعا قريشاً إلى الإسلام، لم يستجيب له أكثرهم، ولم يكتفوا بالإعراض، وإنما حاولوا منع من يستجيب، وآذوا الرسول - ﷺ - إيذاءً بدنياً ومعنوياً، فقد ضربوه وألقوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، وسخروا منه، ووصفوه بأنه ساحر، وكذاب، ومفتري وانتهى بهم الأمر إلى أن أخرجوه وأصحابه من بلده مكة، فخرج إلى المدينة مهاجراً واستوطنها، فلم يتركوه هناك آمناً، بل خرجوا إليه محاربين له، فحاصروه في المدينة، وجمعوا عليه قبائل العرب لمحاربته، ولو تمكنوا منه لقتلوه، ولكن الله نصره، ثم بعد ثماني سنوات من خروجه من مكة وحيداً ليس معه إلا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يعود إلى مكة فاتحاً منتصراً، فيدخلها بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، فماذا كان موقفه من أولئك الذين ألقوا سلا الجزور عليه وسخروا منه، وآذوه وحاربوه؟ فلما نزل مكة وأطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته... ثم دخل الكعبة ثم قام على باب الكعبة فقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، وهزم الأحزاب وحده...) ثم قال: (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن كريم، قال: اذهبوا

(١) البخاري كتاب الحبة وفضلها - باب الهدية للمشركين - ح (٢٦٢)، ومسلم كتاب الزكاة - باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ح (١٠٠٣).

(٢) أحكام أهل الذمة (٤١٨/٢).

(٣) معالم السنن (٧٦/٢)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٨٩/٧).

(٤) فتح الباري (٢٧٧/٥).

فأنتم الطلقاء^(١) لقد كان هذا التصرف من الرسول - ﷺ - في هذا الموقف - موقف الانتصار على العدو المحارب، الذي طالما آذاه وتآمر عليه وقاتله - درساً في التسامح، وتأكيداً بأنه رسول التسامح، فلم يكن - ﷺ - قائداً يسعى لطلب مجد، يسخر انتصاراته في الانتقام ممن خالفه، بل كانت سيرته سيرة من يحلم في أشد الأوقات حرجاً، ولا ينسى مبادئه في أعظم المواقف انتصاراً، فلا يغفل عن ذلك المبدأ العظيم مبدأ التسامح، يعمل به ويربي أصحابه وأبناءه عليه.^(٢)

المطلب الثاني: حوار النبي - ﷺ - مع أهل الكتاب وأثر ذلك في قبولهم:

إن النبي - ﷺ - وقف موقفاً ظاهراً يُفرق فيه بين المخالفين من أصحاب الديانات الأخرى، فلاهل الكتاب (اليهود والنصارى) في حوار تميز واضح عن بقية الملل لأنهم أصحاب كتاب واتباع رُسل، وأمة رسالة، ولذلك فإن الإسلام منع المسلم من نكاح المشركة، وحرم عليه الأكل من ذبائح المشركين، والأكل في آنيهم واستثنى (اليهود والنصارى) يقول الله - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥].

أولاً: حوار النبي - ﷺ - مع اليهود وأثر ذلك في قبولهم:

لقد أفرد النبي - ﷺ - مساحة كبيرة جداً من التباسط مع اليهود، ورفق بهم أكثر من غيرهم، وأحسن إليهم كما لم يُحسن إلى أحد من غير المسلمين، وفي تعدد المواقف الحوارية وكثرتها وتنوع مواضيعها ما يدل بشكل واضح على الاهتمام الظاهر الذي أولاه النبي - ﷺ - لليهود وما خصهم به من الجدل بالحسنى والبيان بأحسن وجه ومن تلك الأمثلة:

أ. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً - ﷺ - على العالمين في قسم يقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي - ﷺ - فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: (لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله)^(٣) ففي هذا الحوار قدر الرسول - ﷺ - اليهود بوصفهم أمة رسالة واتباع موسى - ﷺ - فوق - ﷺ - أخاه موسى بن عمران - ﷺ - وفي الحوار دليل على عدله - ﷺ - حيث إن اليهودي ذهب إليه حتى يحكم في أمرهما ليقين اليهودي بأنه لا يظلم أحداً، وهذا ما حصل فعلاً فقد غضب الرسول - ﷺ - بشدة للاعتداء على الذمي ولتفضيل نبي على آخر، وذلك بعكس ما نتوقع في ضوء الاعتقاد بأن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو العداوة والبغضاء والقتال، وعبر عن غضبه لما ظهر على وجهه - ﷺ - من علامات رآها الآخرون وفهموها ولذا نقلوا الحوار لنا للاستفادة منه.

(١) البيهقي في السنن الكبرى كتاب جماع أبواب السير - باب فتح مكة - (١٨٠٥٥) (١١٨/٩)، وابن كثير في السيرة النبوية (٧٣/٥)، وابن حجر في فتح الباري (١٨/٨).

(٢) التسامح في الإسلام (١٠٣)، والتسامح الإسلامي لعلي جمعة مقال في مجلة التقوى بيروت عدد (١٣٥).

(٣) البخاري كتاب الخصومات - باب ما يذكر في الأشخاص في الخصومة بين المسلمين واليهود ح (٢٣٠٤).

ب. عن صفوان بن عسال - رضي الله عنه - : (إن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي فنسأله، فقال: لا تقل نبي، فإنه إن سمعها تقول نبي كانت له أربعة أعين فأتيا إليه فسألاه عن قول الله - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] فقال رسول الله - ﷺ - : لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تحسروا، ولا تمشوا بغيري إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم يا معشر اليهود خاصة ألا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكما أن تسلما، قالوا: إن داود دعا الله أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود^(١) فالحوار يوضح أن الرجلين قد ذهبا إلى النبي - ﷺ - لاختباره وامتحانه، ولكن بقوة حوار وصدقه وحجته وبيانه لم يستطيعا إلا أن يشهدا ويقرا بنبوته - ﷺ - بل وقاما بتقبيل يديه ورجليه، وبذلك يتضح الأثر الوجداني في أنفسهما، ولكن منعهما من إعلان إسلامهما خوفهما من اليهود الطغاة القتلة، فلم يجبرهما الرسول - ﷺ - على ذلك.

ج. عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (إن غلاماً من اليهود كان قد مرض فأتاه النبي - ﷺ - يعوده فقعد عند رأسه فقال له: (أسلم فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبي - ﷺ - وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار)^(٢) ففي هذا الحوار القصير يحمل كثيراً من الدلالات منها: استعمال النبي - ﷺ - غلاماً يهودياً، وظل ذلك الصبي يحتفظ بديانته مما يؤكد حرية العقيدة في الإسلام ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] حتى عندما تتشابك المصالح، وأداء النبي - ﷺ - حق الغلام فقد حرص على عيادته بنفسه، ولم يندب عنه مبعوثاً أو رسالة، فلم يغفل عنه لكونه يهودياً أو صيباً، واختيار النبي - ﷺ - المكان المناسب للجلوس عند الصبي عند رأسه حيث يكون قريباً من السمع والبصر فيسمع كلمات الصدق، ويتأمل في عينيه الحق، إنه قمة الاقتراب حتى تلتقي فيه الأنفاس، أما الحوار فكان قصيراً جداً يتمثل في فعل أمر أسلم، فلا مجال لحوار طويل مع فتى توسم في وجهه رسول الله - ﷺ - دنو الأجل، ثم إنه خيره وفهمه، وربما أدرك فيه اقناعاً مسبقاً بالإسلام، ولعل ما منعه من قبل أمر يتعلق بأبيه، والآن وفي حضور جميع الأطراف يعرض الرسول - ﷺ - الإسلام في حضرة أبيه، فإذا بالأب يسهل مهمة الرسول - ﷺ - ويشد عضد ولده حينما نظر إليه وكأنه يستأذنه، وإذا بالصبي يعلن إسلامه، ورسول الله - ﷺ - يخرج من عنده يحمد الله على إنقاذه من النار، فاختيار اللحظة الحاسمة والحوار المفيد سهل المهمة وأوصل إلى الغاية المنشودة، فكان الأثر إسلام الصبي قبل أن يموت، ولذلك استدل بهذا الحديث بعض الفقهاء فقالوا: (عيادة الكافر فعل حسن وذهبوا إلى جواز ذلك)^(٣)

(١) الترمذي في السنن (٢٧٣٣) وقال: حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى (٣٥٢٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٥/١).

(٢) البخاري كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه... (١٦٩/٣).

(٣) حاشية الطحاوي (٣٦٧)، ومغني المحتاج (٣٣٠/١)، والمبدع (٤٠٩/١٣)، والكافي في فقه ابن حنبل (٢٧٣/١).

د. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (إن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدارس، حين قدم رسول الله ﷺ - المدينة وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فسلوه كيف الحكم فيهما؟ وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التّجبيّة - والتّجبيّة: الجلد بجبل من ليف مطلي بقر، ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين - فاتبعوه فإنما هو ملك وصدّقه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه فأتوه، فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما، فقد وليناك الحكم فيهما، فمشى رسول الله ﷺ - حتى أتى أحبارهم في بيت المدارس فقال: يا معشر يهود أخرجوا إليّ علماءكم فأخرج له عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله ﷺ - وكان غلاماً شاباً من أحدثهم سناً، فألظّ به رسول الله ﷺ - المسألة، يقول له: يا ابن صوريا، أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبي مُرسل ولكنهم يحسدونك، قال: فخرج رسول الله ﷺ - فأمر بهما فُرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار^(١) فإن هذا الحوار يوضح لنا أن الرسول ﷺ - قد تروى في حكمه على الرجل والمرأة إذ أراد أولاً أن يظهر من ذلك الموقف أن حكم الله واحد، وإن جميع الديانات السماوية تخرج من مشكاة واحدة، وفي ذلك تأكيد لنبوته، وإقناع لأصحاب الديانة الأخرى بصحة حكمه، ثم ما يترتب على ذلك من حقن لما قد يظهر من جدال في الحكم فيما بين ذويهما - الزاني والزانية - على أقل افتراض، لهذا عهد رسول الله ﷺ - إلى محاورة أعلم من بقي بالتوراة وقد ألح عليه في المسألة حتى أكد له تطابق ما جاء في الإسلام والتوراة، بل ويشهد الرجل بنبوّة محمد ﷺ - ويخبره بعلم اليهود بذلك، ولكنه الحسد فحكم رسول الله ﷺ - عليهما بحكم الله الذي ورد في شتى الديانات السماوية في تلاق عقدي، ويوضح الحوار أيضاً حرص الرسول ﷺ - على إثباته الحكم في ذلك المشهد، وحواره مع حبر اليهود يؤكد لهم أنه النبي الذي وجدوا صفاته مكتوبة عندهم في التوراة، فما أجمله من حوار!!

ه. عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ - وهو في أرض يحترف فأتى النبي ﷺ - فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشرار الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة، وما ينتزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، أما أول أشرار الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهت وإنهم أن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم ييهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ - أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: رأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام، فقالوا: أعاده الله

(١) البخاري في الحدود - باب رجم المخضن (١٢/ ١٠٥)، ومسلم في الحدود - باب ما جاء في رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا رقم (١٦٩٩)

من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، فانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ - كذبتُم لن يُقبل قولكم، أما آنفاً فتشنون عليه من الخير ما أثبتتم، وأما إذا آمن كذبتُموه، وقلتم فيه ما قلتم فلن يُقبل قولكم^(١) ومن خلال هذا الحوار يظهر صبر النبي ﷺ - ودماثة خلقه جلياً، حيث لا يمانع في أن يكون موضع اختبار مادام هناك احتمال في أن يؤدي ذلك إلى إقناع محاوره بالإسلام، وألا يعقب على كل ما يقوله الطرف الآخر من الكلام المرفوض، فلعله يستأنس بالحوار ويكون أكثر استعداداً لقبول الحق، فتركه يسأل، ثم رد عليه بقوله: أخبرني جبريل آنفاً، حتى يوضح لعبد الله أن المعلومات من عند الله - تعالى - الذي أرسله بالرسالة والنبوة، ولعله أراد أيضاً أن يوضح موقف اليهود من جبريل - عليه السلام - وهذا ما أكدته عبد الله فهو اعتراف من رجل منهم بأنهم يكرهون جبريل - عليه السلام - وقد أجاب النبي ﷺ - بطريقة مختصرة تؤدي الهدف المطلوب دون خلل أو ملل، فما كانت النتيجة إلا أن أسلم عبد الله بن سلام، وليس هذا فحسب، ولكن مساعدته في الكشف عن حقيقة غالبية اليهود في المدينة، واستغلال النبي ﷺ - هذا الموقف فوضح مكانه عبد الله بن سلام - من اليهود وأنه من أفضلهم ثم عقب بعد ذلك بتوضيح كذبهم وتذبذبهم وعدم ثباتهم في المبدأ، مع إبراز علمه ودقة فهمه فيما توفر لديه من الحجة والبرهان والبراعة في الاستدلال.

و. يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: (بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ - فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدارس، فقام النبي ﷺ - فناداهم: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريده، ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلمو أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله)^(٢) فالتأمل في هذا الحوار يلاحظ أنه اتسم بالإشفاق والحزم في آن واحد بين محاولة إقناعهم بالدخول في الإسلام والانتصار له والذب والدفاع عنه وعن المسلمين، فدعاهم أولاً إلى الإسلام فلما لم يستجيبوا لدعوته واستمروا في كفرهم أجلاهم عن المدينة، وهناك حوارات وحوارات مع اليهود مثلت بالعدل والرحمة والرفق ومحاولة إدخالهم في الإسلام كموقفه - ﷺ - من صيام عاشوراء بعد أن علم أن اليهود تصومه لأن الله نجي فيه موسى - ﷺ -^(٣) وأمره لزيد بن ثابت بتعلم العبرية حتى يدعوهم ويكاتبهم ويحاورهم^(٤) وأمره لعائشة - رضي الله عنها - بالرفق مع اليهود عندما كانوا يقولون: السأم عليك^(٥)، وعندما كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ - رجاء أن يقول لهم: (يرحمكم الله، فكان يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم)^(٦) دون أن يعنفهم أو يتجاهلهم، وكان يفعل كل ذلك تودداً لهم لعلمهم تلين

(١) البخاري تفسير القرآن - سورة البقرة - باب (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ) رقم (٤٢٢٨).

(٢) البخاري كتاب الإكراه - باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره (٢١٧٩/٤) حديث (٦٩٤٤).

(٣) البخاري كتاب الأنبياء باب قول الله - تعالى - (وَهَلْ أَتَاكَ خَبِيرٌ مُوسَى) رقم (٣٢٢٧).

(٤) أبو داود في سننه كتاب العلم - باب رواية حديث أهل الكتاب رقم (٢٢٠٨)، والحاكم في المستدرک کتاب الإيمان - رقم (٢٣١) وقال: حديث صحيح.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أبو داود في سننه كتاب الأدب - باب كيف يشمت الذمّي رقم (٤٤٣٨).

قلوبهم ويدخلون في الدين الإسلامي، ولعل من أجمل مواقف الرسول - ﷺ -: (أنه توفى ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير)^(١) فقد كان - ﷺ - يقترض من اليهود المال ويهرنهم المتاع، ولم يكن ذلك عجزاً من الصحابة - رضي الله عنهم - عن إقراضه، بل أن بعضهم كان ثرياً، ويتلّفه لخدمة الرسول - ﷺ - ولو على سبيل الإقراض لكن لعل ذلك تعليماً عملياً من الرسول - ﷺ - للأمة لما يدعوا إليه هذا الدين من التعامل الحسن مع غير المسلمين، ومعاهدته أو وثيقة المدينة توضح موقفه الفعلي من اليهود، حيث إنه كتب وثيقة بين المهاجرين والأنصار واليهود في المدينة تضمنت عدداً من البنود التي تنظم العلاقة مع اليهود، وفيها يتضح مدى التسامح في التعامل الذي طبقه - ﷺ - مع اليهود، ومن نصوص تلك الوثيقة (إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأموالهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم، وأعطى هذه الحقوق لجميع اليهود في المدينة)^(٢)، فهذا النوع من التعامل يحمل في طياته أسمى معاني التعايش والتسامح الذي تؤكد حسن المعاشرة، واللطف في المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية، والبر والرحمة والاحسان التي حضى بها اليهود في كنف الرعاية النبوية السامقة^(٣).

ثانياً: حوار النبي - ﷺ - مع النصارى وأثر ذلك في قبولهم:

لقد كان النصارى جزءاً من النسيج الاجتماعي لجزيرة العرب يسكنون جنوب الجزيرة العربية قريباً من اليمن، في منطقة بنجران، لذا كان النبي - ﷺ - يلتزم الرفق واللين في حواراته معهم ومن أمثلة تلك الحوارات:

أ. عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: (جاء العاقب والسيد صاحباً بنجران إلى رسول الله - ﷺ - يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعد، فقالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وأبعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف له أصحابه - ﷺ - فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله - ﷺ - هذا أمين هذه الأمة)^(٤) فالرسول - ﷺ - صالحهم على ألفي حلة النصف في صفر والبقية في رجب يؤدونها إلى المسلمين...، وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم إن كان باليمن كيد أو غدر، على أن لا تُهدم لهم بيعة ولا يُخرج لهم قس، ولا يفتنوا عن دينهم ما لم يحدثوا حدثاً أو يأكلوا الربا)^(٥) فالحوار يوضح لنا مدى حرص النبي - ﷺ - على إسلام وفد بنجران فلذا عرض عليهم الإسلام ودار بينهم حوار حول خلق عيسى - ﷺ - فلما أتى رسول الله - ﷺ - الخبر من الله عنه، والفصل في القضاء بينه

(١) البخاري كتاب الجهاد والسير - باب ما قيل في درع النبي - ﷺ - وقمصه في الحرب ح (٢٩١٦)، ومسلم كتاب المساقاة - باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر ح (١٦٠٣).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١٠٣/٢)، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (٣٨٤/١).

(٣) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (٤٧).

(٤) البخاري كتاب المغازي - باب قصة أهل بنجران ح (٤٣٨٠)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أبي عبيدة ح (٣٤٢٠).

(٥) فتح الباري (٧٦ / ٨).

وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم تأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه فانصرفوا، ثم خلوا إلي كبيرهم فاستقروا على صدق نبوته وخطورة الملاعنة عليهم وأرادوا أن يبقوا على دينهم فعادوا إليه وقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن أبعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضى، فقال رسول الله - ﷺ - أثتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين.. فلما سلم الرسول - ﷺ - من صلاة الظهر نظر عن يمينه وعن يساره فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: أخرج معهم فاقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه، ويتضح من خلال هذا الحوار أمور منها: إن وفد نصارى نجران وفدوا على النبي - ﷺ - ودخلوا عليه في مسجده فلم يمنعهم من الجلوس فيه بل استقبلهم وتناقش معهم^(١)، وعندما حانت صلاتهم صلوا فيه، ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا وأصروا على ضلالهم وعاندوا وقد استبان لهم الحق وانجلي لهم الموقف من صورة النبي - ﷺ - الذي يجذونها في التوراة والإنجيل، ولذلك لما دعاهم إلى المباهلة أبوا وهابوا أن تصيبهم لعنة الله، وتشاور بعضهم في شأن الملاعنة فقالوا: إذن والله لا نفلح فرضوا بالجزية وقبلوا التسليم، وطلبوا منه أن يرسل معهم أميناً يحكم بينهم، فكل هذه الاختلافات في الرأي لم يُفسد للود قضية واختلاف العقيدة لم تنشب بينهم العداوة، فلقد اعترف الوفد بعد حوارهم للرسول - ﷺ - بمدى صبره وحلمة وقوة حجته، مع محاولتهم إخراج الرسول - ﷺ - في قضية خلق عيسى - ﷺ - وقولهم أيضاً له: (إنكم تقرؤون: يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فقال لهم: إنهم كانوا يسمون بانبيائهم والصالحين قبلهم)^(٢) وأصروا أن يعودوا بدينهم إلا أنهم لما رأوا في حوارهم - ﷺ - من الحق والصدق أرادوا رجلاً من أصحابه - ﷺ - يحكم في عصب حياتهم المال، فلم ينكر عليهم طلبهم، ولم يمنعهم إياه، لكونهم لم يدخلوا في الإسلام، وتمسكوا بدينهم، بل قرر اختيار من يقوم بالمهمة بأمانة وعزم من خيرة رجاله، فيختار لهم أبا عبيدة أحد المبشرين بالجنة، فضرب النبي - ﷺ - بحواره وفعله أروع أصول تبادل المنافع بين المسلمين وأصحاب الديانات السماوية الأخرى فلا تصلت ولا انعزالية في الدين الإسلامي، فما أروع وأجمله من حوار!! يقول ابن القيم - يرحمه الله -: (فيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وفيها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين، وفي مساجدهم أيضاً، إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك)^(٣) ولم يكتف الرسول - ﷺ - بإرسال الأمين فقط ولكنه صالح نصارى نجران وكتب وثيقة شبيهة بوثيقة المدينة، بين فيها احترامه

(١) اختلف العلماء على قولين في حكم دخول الكافر المسجد النبوي وغيره من المساجد:

القول الأول: يجوز للكافر الذي أو المستأمن أو غيرها دخول المسجد النبوي وغيره من المساجد وهو قول فقهاء الحنفية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية، إلا أن الشافعية والحنابلة قيدوا الدخول بالإذن من الإمام أو من يقوم مقامه، واستدل الجمهور القائلون بجواز دخول الكفار المسجد النبوي الشريف وغيره من المساجد بقوله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) [التوبة: ٢٨] فقالوا: إن الآية خاصة بالمسجد الحرام، فدلّت على أنهم لا يمنعون من دخول غيره، وبحديث ثمامة بن أثال الذي أسره الرسول - ﷺ - وأذن له بالدخول إلى مسجده ﷺ

القول الثاني: لا يجوز للكافر دخول المسجد النبوي ولا غيره من المساجد وهو قول المالكية ورواية أخرى للحنابلة. انظر أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٨٨)، ومغني المحتاج (٤/ ٢٤٧)، وروضة الطالبين (١/ ٣١٠)، والمغني لابن قدامة (٨/ ٥٣٢)، والمبدع (٣/ ٣٢٥)، وكشاف القناع (٣/ ١٣٧)، وأحكام أهل الذمة (١/ ١٩٠)، والمحلى (٤/ ٢٤٣)، والأحكام السلطانية لابي يعلى (١٩٥)، أما حديث ثمامة بن أثال فقد رواه البخاري في كتاب العلم - باب ما جاء في العلم (٤/ ٦٣)

(٢) مسلم كتاب الأدب - باب بيان ما يستحب من الأسماء (١١٤-١١٥)

(٣) انظر زاد المعاد (٣/ ٦٣٨)، وأحكام أهل الذمة (١/ ١٩١).

— ﷺ — لدمائهم وأموالهم، وإقرارهم على بيعهم، ورهبانيتهم وأسقافتهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير فكتب: (ولنجران وحاشيتها ذمة الله، وذمة رسوله على دمائهم، وأموالهم، وملتهم، وبيعهم، ورهبانيتهم، وأسقافتهم، وشاهدتهم، وغائبهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى أن لا يغيروا أسقفاً من سقيفاه، ولا وافهاً^(١) من وفيهاه، ولا راهباً من رهبانيتها)^(٢)).

ب. (إن الرسول — ﷺ — عندما عاد من الطائف أتى الغلام عداس بطبق فيه عنب ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله — ﷺ — ثم قال له: كل، فكلما وضع رسول الله — ﷺ — فيه يده، قال: باسم الله ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال رسول الله — ﷺ — ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله — ﷺ —: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله — ﷺ —: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكتب عداس على رسول الله — ﷺ — يقبل رأسه ويديه وقدميه)^(٣) ففي هذا الحوار تتضح أمور منها: أن الرسول — ﷺ — يقيم علاقات ودّ وتلاقٍ وتقريب العلاقات من خلال الديانات السماوية عن طريق إجابة الرسول — ﷺ — عن سؤال الغلام بألفاظ أدخلت الألفة في قلبه منها وصف يونس بن متى بأخي فتحوّلت العلاقة إلى قرابة في الإنسانية بما حققته الديانات السماوية من إيجاد مواطن الوحدة والتلاقي في الأحكام مع الآخر، بشرط عدم التنازل عن الحق المبين.

ج. عن أبي إسحاق — رضي الله عنه — قال: (قدم على رسول الله — ﷺ — عشرون رجلاً وهو بمكة أو قريب من ذلك من النصارى، حيث ظهر خبره من الحبشة فوجدوه في المجلس، فكلّموه وساءلوه، ورجال قريش في أندية حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله — ﷺ — عما أرادوه، دعاهم رسول الله — ﷺ — إلى الله — عز وجل — وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خبيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتوهم بخير الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم وصدقتموه بما قال لكم!! ما نعلم ركباً أحق منكم، فقالوا لهم: سلام عليكم ما نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألو أنفسنا خيراً)^(٤) ففي هذا الحوار تتضح أمور منها: أن الرسول — ﷺ — كان يجلس خارج بيته حتى يستطيع أن يجتمع بغيره بخلاف ما لو كان جالساً في منزله، ثم أعطاهم الرسول — ﷺ — الوقت للمساءلة ولم يتعجل معهم، ثم لما شعر برغبتهم وميلهم دعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم آيات أثرت في نفوسهم وقلوبهم حتى فاضت أعينهم بالدموع ودخلوا الإسلام فوراً، وهذا ما وضحه الله — عز وجل — في كتابه بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ

(١) الوافّة: القيم على البيت الذي فيه صليب النصارى بلغة أهل الحجاز. انظر لسان العرب (٥٦١/١٣).

(٢) أبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء — باب في أخذ الجزية ح (٣٤١) (١٦٧/٣)، وأبو عبيدة في الأموال (٢٤٤-٢٤٥).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤٤٦/٢).

(٤) البيهقي في دلائل النبوة — باب الهجرة الأولى إلى الحبشة رقم (٥٩٤).

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٣-٨٤﴾ [المائدة: ٨٣-٨٤] فحواره - ﷺ - جعلهم يدركون الحق وذلك لما عندهم من العلم، ولما بقي في أيديهم من أثر النبي عيسى ابن مريم - ﷺ - في الكتاب الذي بين أيديهم، ولما جرى من بعضهم من الدين حيال دعوة النبي - ﷺ - ودخول بعضهم في الإسلام، وكل ذلك وزيادة حصل بقوة حوار - ﷺ - مع النصارى فأثر في أفئدتهم وعقولهم.

د. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - ﷺ - ودعاهم إلى الإسلام، قال أبو رافع القرطبي: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو ذاك تريد يا محمد؟ وإليه تدعون؟ فقال رسول الله - ﷺ - : معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [آل عمران: ٧٩] لى قوله (بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٨٠]^(١)، فالحوار يوضح أن النبي - ﷺ - لا يأمر الناس أبداً أن يتخذوا الملائكة والنبیین أرباباً، فالنبي لا يأمر الناس بالكفر بعد أن يسلموا لله ، ويستسلموا لإلهيته، ومن ثم تتجلى استحالة هذا الذي ينسبه النصارى إلى عيسى - ﷺ - كما يتجلى الكذب على الله - تعالى - في أدعائهم أن هذا من عند الله.

هـ. لعل من أجمل حوارات الرسول - ﷺ - حواره مع عدي بن حاتم - رضي الله عنه - يقول عدي: (ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله - ﷺ - مني وكنت على دين النصرانية وكنت ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي، فقلت والله لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضربني، وإن كان صادقاً علمت فقدمت فأتيته، فلما دخلت المدينة جعل الناس يقولون: هذا عدي بن حاتم، هذا عدي بن حاتم، فمشيت حتى أتيت على رسول الله - ﷺ - في المسجد فقال لي: (عدي بن حاتم) قلت: عدي بن حاتم، ففرح النبي - ﷺ - بمقدمه واحتفى به، مع أن عدياً محارب للمسلمين، وفار من الحرب، ومبغض للإسلام، ولاجئ إلى النصارى، ومع ذلك لقيه - ﷺ - بالبشاشة والبشر، وأخذ بيده يسوقه معه إلى بيته، وكان عدي يردد في نفسه لماذا يدخل هذا الدين الذي أهله في ضعف ومسكنة وفقر وحاجة، يقول عدي: فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفتني، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي، والله ما هذا بأمر ملك... ثم يقول عدي: مضى بي رسول الله - ﷺ - حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً، فقدمها إلي فقال: أجلس على هذا، قال: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله - ﷺ - على الأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، وبعد أن أجلسه قال له: (أيه يا عدي بن حاتم أسلم تسلم أسلم تسلم) قال عدي: إني على دين، فقال - ﷺ - : (أنا أعلم بدينك منك) قال: أنت أعلم بديني مني؟ قال: (نعم أأست من الركوسية؟) وهي ديانة نصرانية مشربة بشيء من المجوسية قال: قلت: بلى قال: (ألم تكن تسير في قومك بالمرباع؟) قال: قلت: بلى، قال: (فإن

(١) الطبري في جامع البيان في تفسير سورة آل عمران - باب القول في تأويل قوله - تعالى - (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ) برقم (٦٦٥١) وأشار محمد شاكر في عمدة التفسير (٣٨٥/١) إلى صحته.

ذلك لم يكن يحل لك في دينك!!) والمراد به أنه إذا غزت القبيلة قسم حاكمها الغنيمة أربعة أقسام فأخذ الربع له وهذا الأمر لا يجوز في النصرانية - فتضعع لها عدي وقال: نعم، فقال - ﷺ - (أما أني أعلم الذي يمنعك من الإسلام إنك تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب، يا عدي أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت عنها، قال: (فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الطغينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز) قال: كنوز كسرى بن هرمز؟ قال: (كنوز كسرى بن هرمز ولتنفقن أمواله في سبيل الله، ولن طال بك الحياة لترين الرجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبل منه ثم بدأ - ﷺ - يذكره بالآخرة فقال: (وليلقين الله أحداكم يوم يلقيه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم)^(١) فسكت عدي متفكراً ففاجأه - ﷺ - قائلاً: (يا عدي فما يضرك أن تقول لا إله إلا الله؟ أو تعلم من إله أعظم من الله؟) قال عدي: فإني حنيف مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فهذا الحوار قد راعى الرسول - ﷺ - في إدارته أدبيات راقية منها: مراعاة أقدار المحاورين، وإعطاء المخاطب حقه من التكریم عندما احتفى به - ﷺ - احتفاءً واضحاً وأخذ بيده يسوقه إلى بيته ماسكاً بيده حتى يشعره بمكانته عنده - ﷺ - وعدي يتبعه متحسناً حركاته وسكناته مفتشاً فيها عن دلائل نبوته - ﷺ - ، وإذا ما يبحث عنه يجده وتبدى علاماته، لقد وقف مستمعاً لامرأة ضعيفة، فسلطانه إذاً ليس سلطان ملوك، وما اجتمع له من انقياد القوم ليس لنفوذ دنيوي فكان سلوكه - ﷺ - تمهيداً لحوار بناء، واعداداً لنفس الآخر لاستقبال وجهة نظره بمزيد من الوثوق والقبول، ثم أصر الرسول - ﷺ - على حق الضيف وإنزاله منزلته، فجلس على الأرض وجعل عدي يجلس على الوسادة، إن هذا الحوار التمهيدي - إن صح التعبير - الخارج في مجمله عن القضية الأساسية - دعوة عدي للإسلام - بمنزلة إعداد نفسي له شارك وبلا شك في بلوغ الغاية المنشودة، ولقد حرص الرسول - ﷺ - على قراءة ما في نفس الآخر وتفهمه فبعد أن أجلسه حطم الحواجز بين عدي والإسلام بحواره اللطيف فقال: يا عدي أسلم تسلم...ومن مهارته في الحوار والافتناع أنه لم يقل لعدي: ألسنت نصرانياً؟ وإنما تجاوز هذه المعلومة إلى معلومة أدق منها فأخبره بمذهبه في النصرانية تحديداً، ثم وضع له أنه يأخذ المربع ولا يحل له ذلك فعندها أدرك عدي أنه نبي مُرسل يعلم ما يُجهل، وقد أدرك الرسول - ﷺ - مخاوف عدي فوضع يده على موضع الداء ودواعى تردد عدي في الدخول في الإسلام أنه ركوسي (دين الصابئة والنصارى) وهو من السادات الذين يأخذون ربع الغنيمة وهو ما لا يجوزه إذ دخل في الإسلام، فبشره - ﷺ - فيما بشره بكثرة المال في أيدي المسلمين، ودخول السلطان في ديارهم فكان ذلك دافعاً قوياً في إسلام عدي بن حاتم، فما أجمله وما أروعه من حوار!!

و. إن الرسول - ﷺ - وضع لنا أقوى الأدلة على التسامح مع النصارى وهذا ما وضعه أبو قتادة يقول: (قدم وفد النجاشي على النبي - ﷺ - فكان يخدمهم، فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله، قال: إنهم كانوا لأصحابنا

(١) البخاري في الأنبياء - باب علامات النبوة في الإسلام (٦/ ٤٥٠ - ٤٥١)

مكرميين، وإني أحب أن أكافأهم^(١) إنها صورة حية من تواضع وتسامح القدوة - ﷺ - وهو يتولى استقبال هذا الوفد النصراني، وينزلهم في أكرم منزل عنده، بل لا يكتفي أن يوكل أمر ضيافتهم إلى أحد من أصحابه، وإنما يتولاه بنفسه، وهو بهذا يُقدم الأسوة لمن بعده في الوفاء، مع من له سابق إحسان، وفي حفظ المعروف، والتسامح مع المخالفين، الذي يرجو منه تأليفهم وترغيبهم في الإسلام. إنها صورة عملية تغني عن كثير من النصوص، وتبرز معنى جلياً كبيراً من التسامح الذي يربي الرسول - ﷺ - أصحابه عملياً عليه.^(٢)

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين في زمن الرسول - ﷺ - كانوا يعيشون مع أقاربهم الكافرين في بيت واحد، ويلتقي سكان المدينة من مسلمين ويهود ومشركين في الأسواق بصورة متكررة، وكان من الطبيعي أن يتبادلوا التحية والسلام، وثبت أن النبي - ﷺ - سلم على مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود،^(٣) كما أنه من المشروع السلام على أهل البيت وقد تكون زوجة المسلم من أهل الكتاب^(٤)، وقد يفهم بعض الناس حديث الرسول - ﷺ - : (لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتهم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه)^(٥) فإن الرسول - ﷺ - قد قاله: عندما كان ذاهباً لمعاقبة بني النضير على خيانتهم العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، يقول ابن حجر - رحمه الله - : (معناه ولا تنتحوا لهم عن الطريق إكراماً لهم، وليس المعنى إذا لقيتهم في طريق فأجؤهم إلى حرفة حتى يضيق عليهم، لأن ذلك أذى وقد نهي عن أذاهم بغير سبب)^(٦) فالرسول - ﷺ - تسامح مع غيره من الأديان وسجل أروع المواقف فصحيحة المدينة التي أكدت الحرية الدينية لغير المسلمين وأن على الدولة أن تنصر من يتعرض منهم للظلم والاعتداء، وكذلك صلح الحديبية حيث تسامح - ﷺ - مع أعداء الإسلام، ليس خوفاً أو ضعفاً ولكن رغبة في حقن الدماء، ولذا حذرنا الرسول - ﷺ - من قتل المعاهد الذمي فقال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)^(٧) فالدين الإسلامي لم يجعل المسلم يقيم علاقته مع الآخرين على العداوة والبغضاء، وهنا يظهر مدى عداوة اليهود^(٨) والنصارى والمشركين للمسلمين سواءً كان في الماضي أو الحاضر، فرغم عطف ورحمة وكرم وعدل المسلمين مع غير المسلمين، وجدنا الصورة بالعكس في معاملة غير المسلمين للمسلمين حيث سجل لنا التاريخ أن المسلمين وجدوا صنوفاً من الاضطهاد والتنكيل والتشريد والسخرية وعدم حرية العقيدة والتضييق عليهم عند ممارسة عقيدتهم، ثم القسوة في المعاملة أثناء العمل والحرمان والطرده ونظرة الكراهية والسخرية من كثير منهم إلى المسلمين، وهذا الكلام يتأكد يوماً بعد يوم فيما نراه ونشاهده ونسمعه في الوقت الحاضر.

المطلب الثالث: حوار النبي - ﷺ - مع الأمم المتحضرة وأثر ذلك في قبولهم:

(١) البيهقي في شعب الإيمان (٩١٢٥/٦).

(٢) التسامح في الإسلام (١٠٠)، والتعايش السلمي (٤٨).

(٣) البخاري كتاب الاستئذان - باب التسلیم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين (١١/ ٣٢- ٣٣)

(٤) الترمذي - الاستئذان رقم (٢٦٩٨)، الأحوذى (٧/ ٢٩٧) وقال حديث حسن صحيح غريب

(٥) مسلم في السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (١٤٤/ ١٤٧- ١٤٨)

(٦) فتح الباري (١٠/ ٤٠)

(٧) البخاري الديات - باب من قتل ذمياً (١٢/ ٢١٨)

(٨) فضح التلمود (٢١)، الكنز المرصود في قواعد التلمود (٩٠)، سفر التنبيه الإصحاح (٢٠) فقرة (١٦- ١٧)

إن العرب لم يكونوا قوما ذوي بال، فقد كانوا يعيشون على هامش التاريخ، وخارج حدود التأثير في سياسة الأرض، وهم اتباع مرة لفارس ومرة للروم، بحسب تقاربهم المكاني واحتكاكهم التجاري مع إحدى القوتين العظمتين، وعندما جاء الرسول - ﷺ - كان للمسلمين ميل شعوري ظاهر في مواطن خاصة نحو أمة الروم وتفضيلاً على ما سواها من أمم الشرك، ليس في مجال التشريعات التي جاء بها الإسلام كإباحة الزواج ببناتهم، والأكل من طعامهم وذبائحهم فحسب، بل حتى في مجال الأحاسيس والمشاعر، ويدل على ذلك الهم والحزن الذي أصاب النبي - ﷺ - وأصحابه حين نزل قول الله - تعالى - : ﴿الْم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ [الروم: ١-٢] واستبشاره - ﷺ - وأصحابه لما بعدها من الآيات ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣-٤] وقد أدرك النبي - ﷺ - الوقائع الحاصلة على الأرض وقوة تأثير الدولتين لدولته الناشئة في جزيرة العرب، ففتح مع هاتين الدولتين ومع سواهما من القوى الإقليمية واللاعبيين المؤثرين في مسيرة الحضارة الإنسانية حواراً بصيغة جديدة لم يعهدها الملوك والرؤساء والدول في ذلك الوقت، فقد كان الملوك يكتب بعضهم بعضاً يطلبون صلحاً، أو يجتمعون على عدوان أو يهددون بحرب، أو يطلبون القرب، لكن هذا اللون من الحوار الحضاري، الذي أنشأه النبي - ﷺ - لم يكن معروفاً من قبل، فقد سلك الحوار لأجل البلاغ ونشر الدعوة الحقّة من خلال المكاتبات التي حملت أسلوباً جديداً في التواصل بين الشعوب والأمم، وقد اتخذ خاتماً مكتوب فيه (محمد رسول الله) وكان يختار الرسل الذين يرسلهم ممن يتميز بالذكاء والحكمة، وحسن الصورة والاسم، ولعل من أفضل الحوارات التي أثرت في الملوك والعظماء

أ. كلامه - ﷺ - عن النجاشي لما رأى رسول الله - ﷺ - ما يصيب أصحابه من العذاب والتنكيل وأنه لا يستطيع أن يمنعهم من الأذى، رأى أن يختار لهم مكاناً مؤقتاً يأمنون فيه على دينهم وأهلهم وأموالهم فأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه)^(١) تقول أم سلمة - رضي الله عنها إن رسول الله - ﷺ - قال لهم: (إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلادهم حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها إرسالاً حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار إلى خير جار أمنا على ديننا ولم نخش منه ظملاً)^(٢) فكان أثر هذه المقولة من النبي - ﷺ - ووصولها إلى النجاشي أن أحسن ضيافتهم ولم يسلمهم لوفد قريش، وأعطاهم الأمن والأمان، وأمر قومه بالإحسان إليهم، ولم يكتف بذلك بل حتى بعد أن وصل الخبر إلى الصحابة - رضي الله عنهم - في الحبشة بأن المشركين أسلموا وكفوا أذاهم عن المسلمين، وعاد بعضهم إلى مكة وعندما اقترب المهاجرون من مكة تبين لهم كذب ما بلغهم من إسلام قريش^(٣)، ومن ثم كان داعي الهجرة لا يزال قائماً، فأخذوا يعودون رجالاً ونساءً إلى الحبشة للمرة الثانية،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٦٦)، والسيرة لابن هشام (١/ ٣٢١ - ٣٢٢)

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٩)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٧٢)، وأحمد في المسند كتاب السيرة النبوية - باب هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة (٢٠/ ٢٢٦ - ٢٢٩)، والهيتمي في

الروايات (٦/ ٢٤ - ٢٧)

(٣) البخاري في سجود القرآن - باب ما جاء في سجود المسلمين مع المشركين (٢/ ٥٥٣)، ومسلم في المساجد - باب سجود القرآن (٢/ ١٦٠)

وشرع في الهجرة أفراد لم يهاجروا من قبل، وما ذاك إلا لما وجدوا عند النجاشي من حسن الوفادة والإكرام، وقد كان من جملة المهاجرين أم حبيبة بنت أبي سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش وارتد زوجها هناك وفارق الجماعة المسلمة المهاجرة، وعندما علم رسول الله - ﷺ - بأمرها وما آل إليه حالها، فأراد أن يكرمها على صبرها وثباتها ويعوضها عن مصيبتها خيراً، فأرسل الرسول - ﷺ - إلى النجاشي برسالة يخطبها له ففعل وزوجه أم حبيبة - رضي الله عنها -^(١) فكان حوار الرسول - ﷺ - ومكاتبته له أثر بالغ حيث تمكنت الرأفة في قلبه، فحافظ على الصحابة وأعطاهم الأمن والأمان، ثم رق قلبه لعلمه بالكتاب المقدس فدخل في الإسلام وأصبح مسلماً مع أنه كان رأساً في النصرانية في زمانه، وعالمماً بالكتاب المقدس وحرراً مقدماً في مملكته ومعتبراً في رسوخه وتضلعه في قومه، يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - : (نعى لنا رسول الله - ﷺ - النجاشي صاحب الحبشة - أي أذاع خبر موته - يوم الذي مات فيه فقال: استغفروا لأخيكم)^(٢) وفي رواية أخرى قال: (خرج إلى المصلى فصاف بهم وكبر أربعاً)^(٣) ولذا عده بعض العلماء من الصحابة، وكان ممن حُسن إسلامه، ولم يهاجر ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، وصحابي من وجه، ولذا صلى عليه الرسول - ﷺ - صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، فأنظر أثر حوار الرسول - ﷺ - وكلامه اللطيف جعل ملكاً عظيماً يدخل في الإسلام مع أن قومه وحاشيته على دين آخر.

ب. قد وجه النبي - ﷺ - إلى النجاشي رسائل عديدة يهمنها هذا الخطاب الذي يدعو فيه النبي - ﷺ - ملك الحبشة النجاشي لاعتناق الإسلام، وقد جاء في تلك الرسالة العظيمة قوله - ﷺ - : (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده ولا شريك له، والمولاة على طاعته، وأن تتبني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله - عز وجل -، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)^(٤) فرد عليه النجاشي بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من أصحمة النجاشي سلام عليك يا نبي الله، من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فارب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت، وأنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين)^(٥) فالرسالة توضح أن النبي -

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٨)

(٢) البخاري في الجنائز - باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد رقم (١٢٧٦)

(٣) البخاري في الجنائز - باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه رقم (١٢٠٠)

(٤) إعانة الطالبين للبيهقي (٣/ ١٤٧)

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٧٠)

ﷺ - أول ما بدأ معه هو التأكيد على القواسم المشتركة بين دياناتهم وبين الدعوة الجديدة ألا وهو الدعوة إلى وحدانية الله ووحدة المصدر الذي صدرت عنه تلك الديانات، وهذا ما أقر به النجاشي بعد محاورته لجعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأعجبه قول جعفر، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، فقال النجاشي لجعفر ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته أخرجته من العذراء البتول التي لم يقر بها بشر، ولم يفرضها ولد، فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه وقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه، أمكنوا في أرضي ما شئتم، وأمر لهم بطعام وكسوة، ورد هدية قريش لهم^(١).

ج. إن النبي - ﷺ - طمع في إيمان هرقل وهو إن حصل سيكون فتحاً عظيماً ومكسباً كبيراً، ينشأ عنه تحالف قوي بين دولة فتية ناشئة، تحمل آخر مشعل لنور السماء، وآخر قبس من وحيها، مع دولة قوية وأمة كبيرة، إن آمنت بدعوة النبي الخاتم محمد - ﷺ - فإنه سيكون لهذا التحالف شأن كبير ونور عظيم، تنطفي معه نار الشرك وتخبو في ثنايا بريقه آثار لهب المجوسية التي كان يقودها في ذلك الوقت الأمة الشديدة البأس والدولة الطاغية فارس، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة، فقال رجل من القوم؟ وإن لم يقتل؟ قال: وإن لم يقتل فانطلق الرجل بها فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس)^(٢)، وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - كتب إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي وأمره رسول الله - ﷺ - أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله - ﷺ - وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين^(٣)، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(٤) وقال حين قرأه: التمسوا إليّ هاهنا أحداً من قومه لأسألهم عن رسول الله - ﷺ - وكان أبو سفيان بالشام في رجال من قريش قدموا تجاراً، فوجدهم رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بأبي سفيان وبأصحابه، حتى قدموا إيلياء فأدخلوا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبو سفيان: أنا أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ قال: هو ابن عمي، فقال قيصر: أدنوه وأمر

(١) البخاري في التفسير - باب (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) (١٧٢/٨)

(٢) ربيع ابن حبان في صحيحه كتاب السر - باب الخلافة والإمارة - رقم (٤٥٧٥) وقال الألباني في صحيح الموارد صحيح (١٣٥١)

(٣) الأريسيين: إن أهل السواد كانوا أهل فلاحه، وهم رعية الملك كسرى، وكان دينهم المجوسية فأعلم النبي - ﷺ - قيصر أنه إن لم يؤمن - وهو من أهل الكتاب - فإن عليه إثم المجوس وهم الذين لا كتاب لهم. انظر الفائق في غريب الحديث (٣٦ / ١) ، غريب الحديث للخطابي (٥٠٠ / ١) ، النهاية لابن الأثير (٧٩ / ١)

(٤) البخاري كتاب بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ - (٢٣ / ١) ، ومسلم كتاب الجهاد والسير - باب كتاب النبي - ﷺ - إلى هرقل يدعو إلى الإسلام ح (١٧٧٣)

بأصحابه فجعلوا خلف ظهره عند كتفيه ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي فإن كذب فكذبوه، يقول أبو سفيان ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب، قال فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قال: لا، فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قال: لا، قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاءهم؟ قال: بل ضعفاءهم، قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قال: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا، قال: فهل يغدر؟ قال: لا، قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قال: نعم، قال: كيف كانت حربه وحربكم؟ قال: كانت دولاً وسجالاً، يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى، قال: فبماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، ونهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، فقال لترجمانه قل له إني سألتك عن نسبه فيكم فرعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فرعمت أن لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله، قلت: رجل يأتي بقول قد قيل قبله، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فرعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فرعمت أن لا، فقلت لو توضع من آبائه ملك، قلت: يطلب ملك آبائه، وسألتك: أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاءهم، فرعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم اتباع الرسل، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فرعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد سُخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فرعمت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخلط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وسألتك هل يغدر، فرعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون، وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم، فرعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دولاً، ويدال عليكم المرة وتدلون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة، وسألتك بماذا يأمركم، فرعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، ثم قال: وهذا صفة النبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً، فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لقبلت قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ - فقري، فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين من حوله من عظماء الروم، وكثر لغظهم، فلا أدري ما قالوا، وأمرنا فأخرجنا، فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم، قلت لهم: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، هذا ملك بني الأصفر يخافه، والله ما زلت ذليلاً مستيقناً بأن أمره سيظهر، حتى أدخل الله قلبي الإسلام^(١) وفي رواية للبخاري أخرى: (قال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، ... فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغُلقَت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وإن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي، فحاصوا صيحة حُر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلقَت، فلما

(١) البخاري في الجهاد والسير - باب دعاء النبي ﷺ - الناس إلى الإسلام والنبوة - رقم (٢٨٠٦)

رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردّوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيته، فسجدوا له ورضوا، فكان ذلك آخر شأن هرقل^(١) فانظر إلى مدى تأثر هرقل بحوار الرسول - ﷺ - وخطابه وأراد أن يستيقن أكثر وأكثر فأرسل يبحث عن أحد من قومه ليسألهم عن رسول الله - ﷺ - ولم يكتف بسؤال واحد بل تعددت الأسئلة وحتى يتأكد من صدق الإجابة جعل باقي الرجال خلف أبي سفيان فإن كذب وضحوا له كذبه، ثم علق بعد ذلك على إجابات أبي سفيان ووضح له أنه نبي مرسل وأنه سوف يملك موضع قدمه، وأعلن أن لو يستطيع الخروج إليه لخرج وقام بتقبيل قدميه - ﷺ -، وقام أيضاً بنصحه لعظماء الروم بالدخول في الدين الإسلامي فلما رأى تعصبهم ومقتهم له، فخاف على نفسه وملكه منهم فزعم أنه أراد فقط أن يختبر مدى حرصهم وتمسكهم بدينهم، ولو أطاعوه لدخل ودخلوا جميعاً في الإسلام، فما أعظمه من حوار يؤثر في النفوس والقلوب ويهز المشاعر، حتى أن هرقل حاول أن يرد على الرسول - ﷺ - ويخبره بأنه مسلم، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول عن قيصر: (كتب إلى رسول الله - ﷺ - إني مسلم وبعث إليه بدنانير فقال رسول الله - ﷺ - كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية وقسم الدنانير)^(٢) فلذا فقد كانت تجربة مكاتبة الملوك والرؤساء والعظماء تجربة غنية، وصنيعاً له أبعاده الحضارية في العمق والممتدة في الأفق، فدعوة الرسول - ﷺ - دعوة عالمية فهو رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فلم يكن يقصد - ﷺ - من حواراته ومراسلاته تحقيق مصالح شخصية أو مكاسب مادية، بل همه نشر الدين الإسلامي في الآفاق، وتبليغ نور الله إلى العالمين، ومناجزة من يقف سداً بين دعاة الحق وحملة مشاعل الهدى، فقد أدى الرسول - ﷺ - واجب البلاغ في الداخل في حدود الجزيرة العربية وفي الخارج وفي كل اتجاه فما بقي سلطان ولا ملك ولا عظيم يُوصل إليه ويقدر عليه، إلا وبعث إليه النبي - ﷺ - كتاباً وأقام عليه الحجة، فقد بلغت رسائل النبي - ﷺ - أكثر من خمسين رسالة إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام ويرغبهم فيه^(٣) فهل يستطيع بعد ذلك أن يقول قائل إن النبي - ﷺ - قد نشر دينه بالقوة والسيوف؟ إنه إفك عظيم وافتراء جسيم، ومن هنا فإنه ينبغي على المصلحين والدعاة أن يتحروا في حواراتهم الألفاظ التي تؤدي المعنى دون تكلف أو تشدد أو إغراب في الكلام، ويجعل من منهج النبي - ﷺ - منهاجاً لهم في الدعوة.

المطلب الرابع: حوار النبي - ﷺ - مع القتلة وأثر ذلك في قبولهم:

إن الوقائع التي جرت ومحاولات بعض الناس من المشركين واليهود والمنافقين اغتيال النبي - ﷺ - تدفع للاعتقاد بأن لا أرضية تحاور يمكن من خلالها الالتقاء والتناغم للوصول إلى حالة من التفاهم، إذ كيف يكون لقاء ويجرى حوار وقد وصل

(١) سبق تخريجه

(٢) البخاري كتاب التفسير - باب (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) (٨/ ١٨٠-١٨١)

(٣) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله (٩٢ - ٩٣)

القاتل إلى نهاية الطريق وخلف وراءه كل أرض يكون على ظهرها كلام أو تجارب أو تجاوب، ومن أمثلة حوارات الرسول - ﷺ - مع القتلة ما يأتي:

أ. خرج - ﷺ - مع أصحابه في غزوة فلما كانوا في طريق عودتهم نزلوا في واد كثير الشجر ففترق الصحابة - رضي الله عنهم - تحت الشجر وناموا، وأقبل - ﷺ - إلى شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وفرش رداءه ونام، وفي هذه الأثناء كان رجل من المشركين يتبعهم، فلما رأى رسول الله - ﷺ - خالياً فأقبل يمشي بهدوء حتى التقط السيف من على الغصن وصاح بأعلى صوته يا محمد من يمنعك مني؟ فاستيقظ رسول الله - ﷺ - والرجل قائم على رأسه، والسيف في يده يلتصع منه الموت، وكان الرسول - ﷺ - وحيداً ليس عليه إلا إزاره وأصحابه متفرقون عنه والرجل يعيش نشوة القوة والانتصار ويردد من يمنعك؟ من يمنعك مني؟ فقال - ﷺ - بكل ثقة الله، فانتفض الرجل وسقط السيف، فقام - ﷺ - والتقط السيف، وقال: من يمنعك مني؟ فتغير الرجل واضطرب وأخذ يسترحم النبي - ﷺ - يقول: لا أحد لا أحد، كن خير آخذ، فقال له - ﷺ - أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا، ولكن لا أكون في قوم هم حرب لك، فعفا عنه - ﷺ - وأحسن إليه، وكان الرجل ملكاً في قومه، فانصرف إليهم فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا بعد أن قال لهم جئكم من عند خير الناس^(١) وهنا نلاحظ أن النبي - ﷺ - تمكن من رقبة عدوه والذي حاول قتله منذ ثوان مضت، ولو كان عنده بطش وتعطش للدماء - وحاشاه - لأراق دمه على الفور، فالسيف في يده - ﷺ - والدافع للقتل قوي وحاضر، فقد تسربل الرجل بالغدر والخيانة، وتسلسل في حين غرة من المسلمين حتى وصل إلى محلة قائدتهم، وشرع في قتله، وتبجح قبل ضربه بالسيف بما يعتقد من عقيدة الأسباب، وغفل عن القوة الحقيقية التي تقف وراء إدارة هذا الكون الفسيح بكل كواكبه وأقماره وإنسه وجنه وأطياره ومائه وأشجاره، قوة الله القدير، الذي له الخلق والأمر، والسلطان والقهر، فقال هذا القاتل الغافل عن حقيقة الله المهيمن: (من يمنعك مني؟) وحين دارت الدائرة عليه، وسقط السيف من يده، وانقطعت أسبابه وليس له قوة وراء الأفق يحتمي بها حين يشتد الخطب، وتنقطع الحيلة، لم يجد بداً لما رأى الرحمة التي تجلجل وجه الرسول - ﷺ - من الثناء على النبي - ﷺ -، لما يعرف من كريم شمائله وحسن أخلاقه، فقال ولم يُكثر وكأنما كان على يقين بعلو خصمه أدبا وسموه نفساً، وإشراقه روحاً فاكتمى بقوله: (كن خير آخذ) فشرع النبي - ﷺ - وقد رأى أنها الفرصة السانحة والوقت الملائم معه، لعل الله - تعالى - يستنقذه من النار فأجرى حواراً معه فقال للرجل: (أتشهد أني رسول الله) وهنا لمح القاتل فرجة في غمام العقوبة تلوح في الأفق، ودَّله ملامح وجه النبي - ﷺ - على اقتراب العفو، فصرح بما يعتقد، وأظهر ما يضمّر: (لا) ولأن (لا) كلمة قاطعة تفيد انسداد الطرق وانغلاق السبل، فقد شفعها الرجل بعرض جيد: (ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك) وهنا تجلت نفائس الحكمة التي يحملها قلب النبي - ﷺ - واكتفى بقراءة صحيحة وتوقعات واقعية، بما عرض عليه الرجل، فأكتفى - ﷺ - بسحب رجل واحد من معسكر الخصوم، إلى

(١) البخاري كتاب المغازي - باب غزوة نبي المصطلق ح (٤١٣٩)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الخوف ح (٨٤٣)

معسكر المحايدين ورضي بذلك، لأن الفرصة عن القاتل تعطيه فسحة من الوقت، وامتداداً في الزمن فلعلَّ الله - تعالى - يكتب له هداية في قادم الأيام، وكان الرجل كما تأمل النبي - ﷺ - - خير سفير، يبشر بني الرحمة والشفقة - ﷺ - من ورائه، ويبين عن محاسنه، في أرض ربما لم يبلغ أهلها من سيرة النبي - ﷺ - سوى أنه ساحر يفرق بين المرء وأخيه والابن وأبيه، فجاءهم شاهد من عند أنفسهم على حسن السيرة وجمال الصورة والسريّة، وهو شاهد عدل عندهم، لمثله يسمع الناس، فهو بطل القوم، ومبعوثهم في أخطر مهمة، وقد عاد على قدميه، فلا بد أنه ظفر بمراده أو صدّه عن بُغيته أمرٌ جليل، فوضح لهم الموقف وأزال الالتباس عندهم، ونقل إليهم الصورة واختصر: (جئتم من عند خير الناس) فدخل قومه في الإسلام جميعاً، فما أجمله من أثر عظيم تحرك له القلوب وتخر له الجباه، فكان حوار - ﷺ - سبباً لدخول القوم في الإسلام، فياليت شعري يتحلى الدعاة والمصلحون بهذه الأخلاق النبوية الرفيعة وقد جاءت بعض الأقوال بأن هذا الحوار جعل الرجل يسلم، يقول نور الدين القاري - رحمه الله -: (وكان ذلك سبباً لإسلامه)^(١) وهكذا يكون أثر التسامح والعفو مع الناس فهذا عدو حاقّد جاء يريد الفتك برسول الله - ﷺ - - فأثر الحوار في نفسه فقال لقومه: (جئتم من عند خير الناس) وهذا الذي نريد أن يقوله الناس عنا، ممن يعود منهم إلى بلاده بعد أن يعيش هنا مدة من الزمن، ولم تتمكن من إقناعه بالدخول في الإسلام، فلا أقل من أن يعود إلى بلده ليقول: جئتم من عند خير الناس^(٢).

ب. ومن الأمثلة يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - لما فُتحت خير أهديت للنبي - ﷺ - - شاة فيها سمّ فقال النبي - ﷺ - -: (اجمعوا إلي من كان هاهنا من يهود فجمعوا له فقال: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم، قال لهم النبي - ﷺ - - من أبوكم، قالوا: فلان، فقال: كذبتُم بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت، قال: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أيّنا، فقال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال النبي - ﷺ - - اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟ قالوا: نعم، قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا أن نعرف إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرّك^(٣) فالحوار يوضح مدى تواضع الرسول - ﷺ - - وحسن تعامله مع اليهود حيث قبل الهدية منهم، مع علمه ويقينه بأنهم قوم يتصفون بالغدر والخيانة، ولكن مع ذلك لم يرد أن يعاملهم بسوء الظن فقبلها منهم، فأوحى الله إليه بشأنهم، فما كان منه إلا أن جمعهم ثم بدأ الحوار النبوي الراقي معهم بقوله: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه، حتى يؤكد لهم أنهم أخذوا على أنفسهم إقراراً وعهداً بقول الحق والصدق، ومع ذلك كذبوا عليه، فكرر السؤال نفسه عليهم: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ فأجابوا بأنهم سوف يصدقون حيث إنهم لو كذبوا فسوف يعرف النبي - ﷺ -

(١) شرح الشفا في شمائل صاحب الاضطفاء للقاري (٢/ ٢٥)، والإصابة (٥/ ١٩٢)

(٢) التسامح في الإسلام (١٧٥)

(٣) البخاري في المغازي - باب قبول الهدية من المشركين ح (٢٤٢٤)

- كذبهم كما عرف في السؤال الأول، ومع ذلك استمروا في الكذب والمراوغة والمخادعة في السؤال الثاني، ثم وجه لهم السؤال الثالث الذي لا يستطيعون أن يجيدوا عنه قيد أنملة فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟ قالوا: نعم، لعلمهم ويقينهم حينذاك بأن الله أوحى إليه بذلك، فقال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا أن نعرف إن كنت كاذباً نستريح وإن كنت نبياً لم يضرّك، فيظهر في حوار - ﷺ - مدى حكمته وفطنته حيث إنه لم يبادرهم بسؤاله عن الشاة المسمومة أولاً لعلهم بأنهم قوم بهت وقد يكذبون، فلذلك قام بسؤالهم سؤالين حتى يؤكد لهم كذبهم وخداعهم، ويوضح لهم بأن الله - تعالى - يوحى إليه بكذبهم وافترائهم، فلما تيقنوا بأن النبي - ﷺ - قد أوحى إليه بشأن الشاة المسمومة أجابوا بصدق وقالوا: نعم، فما كان منه - ﷺ - إلا أن يظهر الاعتراف بحق الآخرين في أوضح صورة عندما يستخدم الطرف الآخر وسائل إجرامية - وضع السم - بحجة اختبار نبوته، ومع هذا لم يتجاوز ردة الفعل إثبات كذب إدعاءاتهم وكشف حقيقتهم بطريقة حازمة صريحة أمام الملا، ولو استخدم الرسول - ﷺ - طريقة النظم الديمقراطية اليوم لفعل وفعل أموراً للدفاع عن نفسه، ولكن لم يحاسبهم على نياتهم، وبذلك اتضح أن من يتشدد بالديمقراطية ونظامها، لم يعلم حقيقة النبي - ﷺ - الذي أرسى أرقى وأرفع مبادئ الحرية والعدل والمساواة.

المطلب الخامس: دعوة المنصفين من غير المسلمين إلى نشر هذه الجوانب المشرقة في حوارات النبي - ﷺ -:

نجد أن أعداء الدين الإسلامي يقومون بتشويه سمعة الإسلام وتنفير الناس منه، وإصااق تهم الإسلام منها براء، كوصفه بالغلو والتطرف والتعنت، والصحيح أن الإسلام يحذر وينهى من الميل والتجاوز والتطرف والغلو، يقول الله - تعالى - محذراً من خطورة الغلو والتطرف وناهياً عنهما: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾ [النساء: ١٧١] وقد تمادى الأعداء في تشويه صورة الإسلام فأصبح مصطلح الإرهاب زوراً وبهتاناً قريناً للدين الإسلامي، فلا يطلق هذا المصطلح إلا ويراد به الإسلام، ويؤكد به نبيه - ﷺ - فكان من عواقب ذلك أن تشوهت صورة الإسلام عموماً، وصورة النبي محمد - ﷺ - خصوصاً، فإذا أراد أحد أن يتعرف على دين الإسلام، أو أن يقرأ ترجمة لمعاني القرآن الكريم، أو أن يحيط علماً بسيرة النبي - ﷺ - استحضر هذا المصطلح المنفر فانقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير، وحال هذا المصطلح بينه وبين ما يشتهي، فأعداء الإسلام يصورون الإسلام بأنه دين يسترخى النفس البشرية فيحمل صاحبها على الإلقاء بها إلى التهلكة والإقدام على العمليات الانتحارية، ويحرضها على قتل الأبرياء، وترويع المستأمنين، كما يسوغ لها الغدر بالعهود، وعدم الوفاء بالعقود، ويسعى هؤلاء الأعداء إلى إقناع غير المسلمين بأن هذا الإسلام الذي نهجه كما زعموا - لا يصلح ديناً يعتقونه - لأنه في نظرهم يقوم على القتل والترويع والإتلاف، ويعملون على طمس صورته الحقيقية وتشويهها بإيراد هذه الصورة التي نكل بها بكل وسيلة من وسائل الإعلام، لذا يقول القس الأمريكي (فالويل): (إن الإسلام بذاته دين إرهابي وإن محمداً أول إرهابي)^(١) وترسم الأفلام السينمائية الغربية صوراً نمطية متحيزة وغير منصفة للعرب والمسلمين، وتلقي هذه الصورة رواجاً كبيراً عند الغربيين الذين يتأثرون بها ويتلقونها في وقت واحد تقريباً، حيث ترسخ في عقولهم جميعاً، فتكون ثقافة جمعية

(١) الإسلام في عيون غربية (٧٣٠)

تُعادي المسلمين، والإسلام ورسوله - ﷺ - بصورة خاصة، نظراً لتوسع استهلاك الغربيين لمنتج الصناعة السينمائية، فقد قامت السينما الغربية عموماً ومعتقلاً (هوليوود) على الخصوص بتأجيج نيران العداء الأمريكي ضد المسلمين، حيث تشكل صناعة السينما إلى حد كبير ليس فقط في الرأي العام مع أهمية دوره في المجتمعات الغربية، بل الوجدان ومجموعة القيم والرموز التي تمثل عصب الحياة في العالم الغربي، لذا فإن أعداء الإسلام تسببوا في تشويه الإسلام والقرآن الكريم، والسنة النبوية، فأصبح بعض الأعداء يصورون القرآن الكريم، والنبي - ﷺ - بصورة تظهر تحريضهما الأكيد على العداء، وحبهما الشديد لإراقة الدماء^(١) وأنهما يرغبان في إلقاء المسلم نفسه في التهلكة وإقدامه على الجهاد في سبيل الله - تعالى - حيث يلحق بركب الشهداء الذين نشروا الإسلام بحد السيف، - كما زعموا - فيزعمون أن القرآن ما هو إلا كتاب مشتمل على آيات محكمة في مشروعية القتال والحث عليه، والأمر به، والتنويه بفضله والإرشاد إليه، أما السنة النبوية في زعمهم فهي مقتصرة على الترغيب في الجهاد والتنويه بفضل المجاهدين، والحث على القتال في سبيل إعلاء كلمة الدين^(٢)، فلم يكتف هؤلاء بإتهام الإسلام - زوراً وبهتاناً - بما رموه به من هذه الظنون التي لا تغني من الحق شيئاً بل استنفروا من استطاعوا من أتباعهم بأصواتهم وأجلبوا عليهم بخيلهم ورجلهم^(٣)، وقد قام أعداء الإسلام في أواخر الثمانينات من القرن العشرين ومع أفول التحدي السوفيتي، بدأت عمليات التحضير لإبراز صورة العدو الإسلامي الخارق الذي ينتظره العالم بوجل وترقب كبديل للشيوعية المحتضرة، فتم إنتاج فيلمي (ذي دلتا فورس) و (المنتقم) سنة ١٩٨٦م، وفيلم الموت قبل العار سنة ١٩٨٧م، وفيلم سرقة السماء سنة ١٩٨٨م، حيث يأتي العدو الإسلامي الخارق في مثل هذه الأفلام متمكناً أسلحة ذات قوة تدميرية شاملة يُهدد بها الأبرياء الذين يتدخل الغربي الطيب من أجل إنقاذهم وحمايتهم، وهكذا تتحول المواجهة بين الغربي المدافع عن حقوق الإنسان والشيوعي الأحمر إلى مواجهة مع العدو الإسلامي، وبعد حادث تفجير مركز التجارة العالمي سنة ٢٠٠١م تولت هوليوود كبر تسريب الإفك العظيم من خلال فيلم (أكاذيب حقيقية) بطولة (آرنولد شوارزنج) نجم الأكشن الأمريكي وهو يحكي عن أحد الميليشيات العربية الموجودة داخل الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ من كلمة - الحرية الإسلامية - شعاراً لها تخطط له من خلال طائرة مخطوفة وقنبلة شديدة الانفجار مهربة من خارج أمريكا لإلقائها من خلال الطائرة وسط مدينة نيويورك لإحداث الدمار المطلوب بأهم المنشآت الأمريكية القريبة من مركز التجارة العالمي، ولكن الفيلم يجعل البطل ضابط مخبرات أمريكية وزوجته ينقذان نيويورك من الدمار بإجبار قائد الطائرة المسلم أن يصدم بطائرته أحد المباني بعد إبطال مفعول القنبلة، ثم جاء فيلم (اختطاف الرئيس الأمريكي) بطولة (هارسون فورد) وإخراج (استيفين سبيلرج) وهو يتناول إجهاض المخطط الذي لم ينجح المسلمون في تحقيقه من تحطيم طائرة الرئيس بوش وقتله، وهذه المرة كان الإرهابيون ينتمون إلى دولة داغستان الإسلامية، المنفصلون عن الاتحاد السوفيتي، أما أهم ما انشقت عنه حقبة الحقد الأسود والتشويه والترويع الغربي من الإسلام، فهو فيلم الحصار الذي احتفلت هوليوود بالعرض التجاري له عام ١٩٩٨م، والتي تدور أحداثه حول تعرض أمريكا

(١) الإرهاب ومرادفاته (٨)

(٢) الإرهاب والعنف والتطرف (٤-٦)، والإرهاب ومرادفاته (٨)

(٣) الإرهاب وآثاره (١١٩ - ١٢٥)

المسألة لإرهاب المسلمين الأشرار حيث يبدأ بتفجير أبراج مركز التجارة العالمي، وذلك الحدث الذي أفقد أمريكا براءتها وشفافيتها وفتح أعينها المغمضة على الإرهاب القادم من الشرق الأوسط^(١) وبذلك يتضح أن أعداء المسلمين قد شوهوا الدين الإسلامي بما يفعلونه من أفعال، وما يقولونه وما يكتبونه سواءً كان في السابق أو في الوقت الحاضر، فأصبحت صورة الإسلام صورة مشوهة في تصور الآخر، ولعل ذلك يعود إلى عوامل تاريخية وسياسية متضافرة، فقد أثبتت الدراسات الحديثة والبيانات المستخلصة من استطلاعات الرأي العام، ومن الدراسات التحليلية لمضامينها أن الآراء الغربية على وجه العموم سلبية تماماً عن العرب والمسلمين عموماً، وأن جذور الكراهية عميقة ومتأصلة، أسهمت في تأصيلها عوامل متعددة منها: النشر السيئ في الصحف، والقوالب الذهنية السلبية، وجملة الأحداث الراهنة التي أساءت إلى المسلمين بشكل لا تكاد تجد له مثيلاً في هذا القرن، وغير ذلك من عوامل لا تزال تسهم بوضوح في إحباط أية محاولات لنشوء علاقات حوارية يقول (خوان غوتيسلو) مؤكداً ذلك: (إننا خاضعون لعملية غسل دماغ كامل ضد العرب والمسلمين)^(٢) وتقول المستشرقة (آن ماري شيميل): (إن الخطر الإسلامي الذي يتناقله الغرب كمسلمات يقينية غير قابلة للمناقشة، وبناء عدائي ضد الإسلام ترسب في النفوس بفعل وسائل الإعلام، وكتابات بعض المستشرقين المتعصبين)^(٣) وهنا تبرز أهمية دور المسلمين بشكل خاص في تبين الحقائق، وتوضيح المفاهيم الخاطئة، وكشف الحجب الكثيفة والتراكمات البغيضة التي كرسَتْ صوراً أبعد ما تكون عن سماحة الإسلام، وسمو تعاليمه، مع تجنب الأطروحات التي تدفع الشعوب نحو صدامات جديدة، تستخدم فيها شتى أساليب القوة، وعدم احترام الإرث الحضاري للبشر، وعلى هذا فإن الحاجة ملحة إلى التركيز على إبراز الخاصية الإنسانية في الإسلام وتعاليمه، والمنطلقات الإنسانية المستمدة من شريعته التي ينبغي أن تشكل نسيجاً للعلاقات والروابط الداخلية والخارجية للمسلمين، ومن هنا تبدو الأهمية البالغة لإعادة الكشف عن الحقائق الأصلية الخاصة بمنظومة القيم الإنسانية المتكاملة التي تميز بها الرسول - ﷺ - والتركيز على إبراز تلك القيم الإنسانية، الأساسية والجوهرية في خطابه الحواري - ﷺ - إلى جانب أهمية ترسيخ الوعي بأبعاد الطابع الإنساني للثقافة الإسلامية وما يترتب عليه من آثار إيجابية ثقافياً، وتربوياً، وسلوكياً، والواقع بكل إفرزاته يفرض على المسلمين اليوم أكثر من أي وقت مضى، تصحيح الصورة المشوهة، التي التصقت بهم وبدينهم ونبيلهم - ﷺ - تلك الصورة التي باتت تشكل أشبه ما يكون بخطة استراتيجية، تحدد تعامل الآخرين مع الإسلام والمسلمين، ولا بد من التنبيه إلى أهمية مواجهة ومحاور الأطروحات القاضية بذلك، ومن ذلك ما كتبه (صموئيل هنتيفتون) أستاذ العلوم السياسية في صدام الحضارات يحذر شعوباً من شعوب، بسبب ثقافتها ويرى أن ثقافات بعينها وفي طليعتها ثقافة الإسلام وحضارته هي مصدر الخطر، وعامل التهديد لثقافة الغرب وحضارته، بل هي العدو الواجب محاربتة والقضاء عليه، لذا يشكل الحوار اليوم وفق الأهداف والأسس الرصينة، واجباً دينياً إنسانياً وشرطاً مؤكداً للتعايش السلمي بين البشر، ومن أسباب التواصل مع الأمم والشعوب الأخرى، خاصة وأن الأمة اليوم تعيش تحديات حقيقة، تتطلب من الجميع التفكير العميق،

(١) دور الإعلام الغربي في تأجيج الصراع ضد المسلمين (٤٨)

(٢) صورة العرب في عقول الأمريكيين (٢٢٥ - ٢٢٦)

(٣) جريدة العالم الإسلامي الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي بتاريخ ١٨ - ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ م ص (٥)

والتخطيط المتواصل، للخروج من هذه التحديات بنجاح واقتدار، بيد أن تلك الأهداف معقودة على المنهجية السلمية في رسم ثقافة الحوار وتقريرها، فالحوار قوة وسلاح من أسلحة السجال الثقافي والمعركة الحضارية، وهو وسيلة ناجحة من وسائل الدفاع عن المصالح العليا للأمة، وشرح قضاياها، وإبراز اهتماماتها، وتبليغ رسالتها، وإسماع صوتها وإظهار حقيقتها، وكسب الأنصار لها، وجلب المنافع إليها ودرء المفاسد عنها^(١)، ومن تلك الأمور التي يهدف الحوار إلى معالجتها، ما يظهر بين المسلمين المخالفين من جهل بجوهر الدين الإسلامي ومقاصده، والاعتماد أحياناً على نصوص غير صحيحة والأخذ أحياناً بنصوص جاءت على سبيل التشابه، وتأويلها من قبل البعض على أنها محكمة، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى غش في المصطلحات والمفاهيم وابتناء أحكام جائزة عليها دون التريث في فهمها، وأسلوب الحوار مع المخالفين عامة ومع المنصفين - من غير المسلمين - خاصة وحده الكفيل بتجلية هذا الخلط واللبس، وتحديد المصطلحات والمفاهيم بدقة وعمق، ومن تلك المصطلحات: مصطلح الجهاد، وتغيير المنكر، وتطبيق الشريعة، والولاء والبراء، وغير ذلك كثير، فهذه المصطلحات باتت اليوم مدعاة للاستمرار في جدل متواصل حول ماهيتها والمراد منها، وأهدافها، والحوار هو الأسلوب الحضاري العلمي الكفيل بتجلية التصورات وإزالة اللبس فيها، وبالذات مع المنصفين - من غير المسلمين - الذين يعتقدون بقوة الدين الإسلامي وقضائه على جميع المشكلات كالإباحية في السلوك، وسفك الدماء، واستباحة الأموال، وتغذية النزعة الاستهلاكية المادية في الإنسان، وزلزلة الثوابت الفطرية التي أرادها الله لصالح الحياة الإنسانية، وقد اعترف بذلك بعض المنصفين - من غير المسلمين - ومنهم الأمير تشارلز الذي يقول: (إن المادية المعاصرة أحدثت خللاً مروعاً في حياة الفرد والمجتمع لأنها مادية فقدت عنصر التوازن الضروري لحياة سوية متناسقة متكاملة، ولقد بدأنا نحن أبناء العالم الغربي نشعر بأننا قد فقدنا الإحساس الكلي بالكون والبيئة، وبمسؤوليتنا الشاملة إزاء الخلق، ويمكن لنا نحن أبناء الغرب من أجل إعادة اكتشاف الفهم الأصيل لوجودنا ومهمتنا أن نلتمس العون على ذلك من التراث الإسلامي، المشبع بالنظرة الكلية الأصلية إلى الكون والإنسان، كما يمكن الاستفادة من هذا التراث في تحسين نظرتنا نحو الأفضل في الخلافة العلمية للإنسان، ولا شك أن انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية قد بلغ حداً مروعاً مفرعاً... إلى أن يقول: إن رسالة الإسلام مهمة للغرب فهي أكثر تكاملاً وتوحيداً للعالم)^(٢) ويقول اليكسي جورافسكي وهو متخصص في تاريخ العلاقات الحضارية بين الشعوب والقارات والثقافات، ويعمل في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية: (قابلت أي - المسيحية الشرقية - الدين الجديد الإسلام دون أي مقاومة، بل وبالترحاب في كثير من المناطق، ومرد ذلك الموقف إلى عدة عوامل: تسامح الإسلام إزاء القضايا المتعلقة بإقامة طقوس العبادة المسيحية، بشرط التعاون السياسي، وبسبب أن المسلمين الفاتحين حموا المسيحيين من تعديات واعتداءات متلاحقات من إمبراطورية بيزنطة غير المتسامحة مطلقاً)^(٣)، وتقول زيغريد هونكه: (واستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبليغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات، وإنما بخلق الكرم، وسلوكه الحميد، فكسب بذلك

(١) الحوار والتفاعل الحضاري للتوحيدي (١٤)

(٢) راجع نص المحاضرة في جريدة الشرق الأوسط العدد (٦٥٩٨) لندن - تاريخ (٢١/١٢/١٩٩٩م)

(٣) الإسلام والمسيحية لجورافسكي (١٧٧ - ١٧٨)

لدينه عدداً وفيراً لم يكن أية دعوة مهما بلغ شأوها لتستطيع أن تكسب مثله^(١) ويقول المفكر الغربي غوستاف لوبون في كتابه الآراء والمعتقدات: (لقد اعتنقت قبائل البدو في جزيرة العرب ديناً أتى به أمي، فأقامت بفضل هذا الدين في أقل من خمسين سنة دولة عظيمة كدولة الإسكندر وزينت جيدها بقلادة من المباني الفخمة التي هي آية في الإعجاز)^(٢) ويقول القس دوراني: (وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد - ﷺ - فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة الله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، ويعبدون الأوثان، ويقتربون كل الأفعال المشينة بغير طريقة تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد، ودين واحد، وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة التي لم تنجب رجلاً عظيماً واحداً يستحق الذكر منذ عدة قرون أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفاً من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه، لقد قام النبي محمد - ﷺ - برسالة لا عن طريق أي إغراء دنيوي أو اضطهاد أو جبروت، بل بفضل خلقه الذي يأسر القلوب وشخصيته الحبيبة وتعاليمه المقتنعة، فهو بأسلوبه وأخلاقه العالية الرفيعة استطاع أن يحول الأعداء أنفسهم إلى أصدقاء، كما استقطب قلوب الناس بحبه لهم)^(٣) ويقول توماس كارليل: (يزعم المتعصبون من النصارى الملحدون أن محمداً لم يكن يرد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخرة الجاه والسلطان، كلا وأيم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات المتوقد المقلتين العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة وحجى وإربة أفكار غير الطمع الدنيوي ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه وكيف وتلك نفس صافية ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين)^(٤) ويقول أيضاً: (كانت نية محمد أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة) ويقول أيضاً: (وما كان محمد أخا شهوات بالرغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً، إنه كان يصلح ويرقع ثوبه بيده، فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن العظام، مجتهد في الله، قائم النهار، ساهر الليل دائب في نشر دين الله غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت) ويقول أيضاً: (وإني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي، لا يدعي ما ليس فيه، ولم يك متكبراً، ولكنه لم يكن ذليلاً ضرعاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله، وكما أراد يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة والحياة الآخرة)^(٥) وهذا ما حدا بأوجست كونت رائد المدرسة الوضعية أن يقول عن الإسلام: (لم يصادر الإسلام العقل وإنما أعطى له قدرة على التحرر والتفكير والتبصر والقدرة على الإبداع الفني والجمالي والعمراني ولا يمكن لدين أن يفعل هذا إلا إذا كان ديناً يستحق أن يُدرس بعمق)^(٦)

(١) شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه (٣١٤)

(٢) الآراء والمعتقدات لوغستاف لوبون (٦)

(٣) رجال ونساء أسلموا (٣ / ٣٠٤)

(٤) الأبطال لتوماس كارليل (٦٤، ٧٨)

(٥) انظر المصدر السابق (٦٤، ٧٨، ٧٩)

(٦) الإسلام كبديل لهوفمان (٣٥)

فلذا فإنه يجب على الأمة الإسلامية أن تعود إلى الحقب التاريخية المشرقة التي مرت بها بدءاً من بعثة النبي محمد - ﷺ - فعندها لا يخفى على أحد من الذين يقرؤون التاريخ، أن أمتنا العريقة ورسولنا الكريم محمد - ﷺ - قدم للعالم أرقى الصور في العدل والتسامح والمحبة والرقى في النظم الإدارية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، وساهم في إخراج العالم بأسره من ظلمات الجهل إلى آفاق النور، إذ الناس جميعاً في نظر الدين الإسلامي هم أبناء تلك العائلة الإنسانية، وكلهم له الحق في العيش والكرامة، دون استثناء أو تمييز، ثم إن ما غرسه الإسلام في نفوس المسلمين من اعتقاد بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه، أو لونه، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية^(١).

وبما أن الحوار النبوي له عدة أنواع، وتميز بعدة خصائص اتسم بها، وقد اتضحت تلك الملامح من حوارات النبي - ﷺ - مع الآخرين سواء كانوا مؤمنين أو كافرين أو منافقين، وسواء كانوا رجالاً أو نساءً، صغاراً أو كباراً في حوارات تعكس أخلاق النبوة، ولما كان التراث الفكري الإسلامي ثرياً بألوان شتى من الحوارات التي أفادت بها الأمة كثيراً في مواجهة الخصوم ودحض شبهاتهم، كما كان للحوار النبوي أثره البالغ في تقريب وجهات النظر وتوضيح الفكرة الإسلامية، وتأليف القلوب، فكل ذلك وغيره كان من الضروري الوقوف مع المنصفين من غير المسلمين ومساعدتهم على نشر هذه الجوانب المشرقة في حوارات الرسول - ﷺ - وذلك عن طريق الرجوع إلى المصادر الأصلية ومعرفة رصيد الفكر الإسلامي في الحوار، لاهتمام النبي - ﷺ - به، إذ يعد تأكيداً على الارتباط المباشر بتراثنا الإسلامي الأصيل، ويمثل اعتزازاً بجهود النبي - ﷺ - في خدمة الأمة والإسهام في تحقيق خيريتها، بما قدم من نبراس ونموذج يهتدى به الآخرون، فتقافة الحوار لها جذورها العميقة في مرجعيتنا الدينية وتراثنا الفكري حيث حظيت فيهما بمكانة مرموقة، وكان الاعتراف بالآخر والإيمان بالحوار سبيلاً لحل كثير من الإشكالات الفكرية البالغة بين المختلفين، والبحث عن الحقيقة بوصفه هدفاً نهائياً للحوار، والممارسة الأخلاقية للحوار كلها مفردات تميز بها الخطاب الإسلامي على المستوى النظري، وتجسدت سلوكاً حياً في سيرة النبي - ﷺ - وهناك بعض الوسائل النافعة في دعوة المنصفين - من غير المسلمين - إلى نشر هذه الحوارات المشرقة من حوارات النبي - ﷺ - عن طريق تفعيل دور سفارات الدول الإسلامية حيث تعتبر السفارات من أهم الوسائل التي يمكن جعلها منابر للقاء مع المخالف في بلدان العالم المختلفة الأديان والملل، والتعريف بالإسلام وثقافته، وبالرسول - ﷺ - وهذه الوسيلة قد استخدمها الرسول - ﷺ - حين أرسل سفراءه إلى مختلف الملوك والأمراء ولعل أبرز سفرائه وأشهرهم عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الذي أرسله إلى الملك جيفر في عمان فأسلم هو وأخوه ومعهما كثير من العرب من أهل عمان، ومن الوسائل التركيز على الحوار مع الشعوب فقد يكون الأفراد والمؤسسات الشعبية أقرب إلى الاستجابة لنداء الحوار، والحوار معها أجدر بأن يعطي ثماراً حسنة وينتج تحاوياً فعالاً مجدياً، وقد ظهرت فعالية تلك الوسيلة جلياً في مواقف النبي - ﷺ - فقد حاور الجميع زعماء الكفار المعاندين الجاهدين، وأصحاب المواقف المعتدلة غير العنيفة في جحودها للدعوة، ويمكن تفعيل هذه الوسيلة بشكل أفضل من خلال الجاليات المسلمة الموجودة في مجتمعات غير إسلامية، ومن الوسائل المجدية استخدام الشبكة العنكبوتية لنشر هذه الثقافة

(١) الأبطال لتوماس كارليل (٦٤، ٧٨، ٧٩)

المليئة بالخيرات، حيث أصبحت هذه الوسيلة من أنفع الوسائل وأسرعها لنشر الأمور، ولعل المرحلة التاريخية الراهنة من أهم المراحل التي ينبغي أن تتوجه إليها الأنظار لنشر هذه الثقافة الإسلامية، بيد أن هذا الدور لا يمكن أن يؤدي إلا من خلال العودة إلى هدي الحضارة الإسلامية والاعتزاز بها وبدورها في تقديم الإسلام، ولن تجد الأمة أفضل ولا أحسن من حوارات الرسول - ﷺ - وسيرته في هذا المجال.

الخاتمة

إن أهم الأمور التي توصلت إليها كما يأتي:

١. الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية يأتي بمعنى مراجعة الكلام والمخاطبة والمجادلة فيه.
٢. قد يشمل الحوار أكثر من اثنين، ولا يكون حواراً إلا إذا اشتمل على قيم الحوار وآدابه.
٣. هناك جدال محمود وجدال مذموم.
٤. الدعوة الإسلامية بدأت بالحوار مع خديجة - رضي الله عنها -.
٥. إن مشركي مكة يُعدون من أكثر من أدار الحوار مع النبي - ﷺ -.
٦. تلون حوارات الرسول - ﷺ - في كل باب من أبواب التربية والإصلاح.
٧. احترام الرسول - ﷺ - لشخصية المحاور وكيانه، والاعتراف بمكانته.
٨. الرسول - ﷺ - يخاطب في حواراته العقل والوجدان والحس والنفس.
٩. حوارات الرسول - ﷺ - تختلف بحسب القدرات العقلية والأحوال النفسية لمحاوريه.
١٠. تطبيق الرسول - ﷺ - في حواراته جميع المناهج العلمية للحوار كالمنهج العقلي والحسي والقياسي.
١١. من أهداف حوارات النبي - ﷺ - الإقناع بالإسلام - التثبيت على الإيمان والتعويد على التسليم للدين الإسلامي - تيسير الطاعة وهناك أهداف أخرى.
١٢. من منهج الرسول - ﷺ - عدم التعرض لحرية الأفراد إلا عند الضرورة القصوى.
١٣. من مظاهر أخلاقيات الحوارات النبوية: عدم إكراه الطرف الآخر أو إيقاعه في الأذى - قبول التحدي الثقافي من الآخر - السيطرة على المشاعر في مواقف الغضب - الترفع عن محاورة الجاهل المتكبر المكابر - قبول الرأي المخالف ونبذ العنصرية والتعصب في الحوار - الحرص على السلام الاجتماعي - التخطيط المحكم لإدارة الحوار وغير ذلك.
١٤. من الحريات التي ضمنتها الحوارات النبوية: حرية اختيار الدين - حرية اختيار الدرجات - حرية المراجعة.
١٥. ترك الرسول - ﷺ - للتاريخ حوارات في غاية الروعة والجمال.
١٦. أفراد الرسول - ﷺ - مساحة كبيرة جداً من التباسط والرفق واللين مع أهل الكتاب (اليهود - النصارى).
١٧. إبراز علمه ودقة منهجه - ﷺ - بما توفر لديه من الحجة والبرهان والبراعة في الاستدلال، في حواراته مع الآخرين.
١٨. إقامة الرسول - ﷺ - علاقة ودّ وتلاق وتقريب العلاقات من خلال الديانات السماوية.
١٩. الدين الإسلامي لم يجعل المسلم يقيم علاقته مع الآخرين على العداوة والبغضاء.
٢٠. إنشاء الرسول - ﷺ - لونا جديداً من الحوارات لأجل البلاغ ونشر الدين الحق من خلال المكاتبات للملوك والعظماء.

٢١. تأثر بعض المخالفين من اليهود والنصارى والمشرّكين والملوك والعظماء بقوة حوار الرسول - ﷺ - ودخولهم في الإسلام.

٢٢. تسامح الرسول - ﷺ - مع القتلّة الظالمين، مما أدى إلى ثمار يانعة.

٢٣. أعداء الدين الإسلامي لا يملّون ولا يكلّون من القيام بتشويه سمعة الإسلام والرسول - ﷺ -.

٢٤. شهادة بعض المنصفين - من غير المسلمين - في الشرق والغرب بسمو أخلاق الرسول - ﷺ -.

٢٥. لا بد من الاهتمام بنشر ثقافة الإسلام وحوارات الرسول - ﷺ - المشرفة من خلال السفارات والجاليات الإسلامية واستخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة.

٢٦. لا يمكن إدارة هذا الدور إلا من خلال العودة إلى أصول الدين الإسلامي.

التوصيات

١. تدريس المواد التي يحتاجها العصر برؤية شرعية مثل مادة فقه السيرة النبوية، وفقه الأمن النبوي وربطهما بفقه الواقع.

٢. تكاتف العلماء والفقهاء لنشر حوارات الرسول - ﷺ - وما فيها من مبادئ سامية في بقاء الأرض.

٣. استغلال المنابر العلمية لتوحيد الجهود.

٤. إن على العلماء والخطباء والدعاة والأسر والهيئات الشرعية وولاة الأمر ورجال الأمن والمثقفين والكتاب دوراً لجمع

الشمّل، وتوحيد الصف، وتأليف القلوب النافرة، والنصر على الأعداء، عن طريق الحوار البناء.

المصادر والمراجع

١. الأحكام السلطانية - أبو يعلى الفراء - طبعة مصطفى البابي - ط ٢.
٢. أحكام القرآن - أبو بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي - مراجعة صدقي محمد جميل - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - ١٤١٣هـ.
٣. أحكام القرآن - أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي - تحقيق: علي محمد البجادي - دار المعرفة - بيروت - ط ٣ - ١٣٩٢هـ.
٤. أحكام أهل الذمة - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية - ط دار الكتب العلمية - بيروت.
٥. أخلاقيات الحوار - عبد القادر الشихلي - دار الشروق - عمان - ط ١.
٦. الآراء والمعتقدات - الدكتور: غوستاف لوبون - ترجمة: محمد عادل زعيتز - نشر إلياس انطون إلياس - المطبعة العصرية - مصر.
٧. الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم - زيد بن محمد بن هادي المدخلي - دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع - الدمام - المملكة العربية السعودية - ط ١.
٨. الإرهاب والعنف والتطرف في ضوء القرآن والسنة - الأستاذ الدكتور: عبد الله بن الكيلاني الأدصيف - موقع الإسلام .
٩. الأساليب التربوية في القرآن والسنة (سلسلة دورية لمنهج تربوي اجتماعي ثقافي إسلامي) لجنة: ساعد أخاك المسلم في كل مكان - ط ٤ - ١٤١٥هـ .
١٠. الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهال وإنصاف العلماء - محمد عمارة - دار الشروق - القاهرة - جمهورية مصر العربية - ط ٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١١. الإسلام والمسيحية بين التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم - جورافسكي أليكسي - ترجمة: خلف الجراد - إصدار عالم المعرفة - الكويت ١٩٩٦م.
١٢. الإسلام وغير المسلمين - الدكتور: الزحيلي - طبعة دار المكنبي - .
١٣. الإسلام كبديل - مراد هوفمان - مكتبة العبيكان - الرياض - ط ٣ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
١٤. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع - عبد الرحمن النحلاوي - دار الفكر - دمشق - ط ٢ - ١٩٩٥م .
١٥. أصول الحوار وآدابه في الإسلام - د: صالح بن عبد الله بن حميد - دار المنار - جدة - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - مراجعة درويش الجويدي - المكتبة العصرية - بيروت .

١٧. الإقناع في التربية الإسلامية - سلم بن سعيد بن مسفر جار - الرياض .
١٨. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير - أبو بكر جابر الجزائري - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط ٣.
١٩. البحث العلمي حقيقته ومصادره ومناهجه وكتابته وطابعته - عبد العزيز الربيع - مكتبة الملك فهد - الرياض.
٢٠. البداية والنهاية - أبو الفداء ابن كثير الدمشقي - مكتبة المعارف - بيروت.
٢١. التربية بالحوار - عبد الرحمن النحلاوي - دار الفكر - دمشق - ط ١ - ٢٠٠٤ م.
٢٢. التربية بالحوار مع الشباب وأثرها في تحصينهم من الانحرافات الفكرية والسلوكية - سعيد المغامسي - دار الوطن للنشر - الرياض - ط ١ .
٢٣. التسامح في الإسلام - زيد الزيد - الكويت.
٢٤. التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة - سورحم هدايات - دار السلام .
٢٥. تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - تحقيق: عبدالعزيز غنيم وآخرين - دار الشعب - القاهرة - مصر.
٢٦. التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والأسانيد - أبو عمر يوسف بن عبد البر - تحقيق: مجموعة من الباحثين - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط.
٢٧. التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبد الرؤوف المناوي - تحقيق: محمد رضوان الداية - دار الفكر المعاصر - بيروت.
٢٨. ثقافة الحوار في الإسلام - عبد القادر الشخيلي - مؤسسة الإمامة الصحفية - الرياض - ط ١.
٢٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق: محمد وأحمد شاکر - دار المعارف - مصر.
٣٠. الجامع الصحيح (سنن الترمذي) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ط ٢.
٣١. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة.
٣٢. حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح - أحمد بن محمد الطحاوي - مكتبة البابي الحلبي - مصر - ط ٣ - ١٣١٨ هـ.
٣٣. الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية - خالد بن محمد وصل المغامسي - مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني - الرياض - ط ٢.
٣٤. الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية - أحمد بن عبد الرحمن الصويان - دار الوطن للنشر - الرياض - ط ١.
٣٥. الحوار الذات والآخر - الدكتور: عبد الستار الهيتي - ط ١ - ١٤٢٥ هـ .

٣٦. الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين - سعيد إسماعيل صيني - مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني - الرياض - ط ١ - ١٤٢٦ هـ .
٣٧. الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع - تيسير محجوب الفتاني - مركز الكتاب الأكاديمي - عمان .
٣٨. الحوار في القرآن الكريم معاملة وأهدافه - د. سناء بنت محمد عبد الله عابد - دار الأندلس الخضراء - جدة - ط ١ .
٣٩. الحوار في دعوة النبي ﷺ - عبد الرحمن بن يوسف الملاحي - رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب .
٤٠. الحوار مع أصحاب الأديان مشروعياته وشروطه وآدابه - أحمد بن سيف تركستاني - الرياض - المملكة العربية السعودية .
٤١. الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة - خالد بن عبد الله القاسم - دار المسلم - ١٤١٤ هـ .
٤٢. الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة - يحيى محمد زمزمي - دار المعالي - عمان - ١٤٢٢ هـ .
٤٣. الحوار وآدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه - محمد شمس الدين خوجة - مركز الملك عبد العزيز - الرياض .
٤٤. الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي - عبد العزيز بن عثمان التويجري - المؤتمر الثامن - يوليو ١٩٩٦ م .
٤٥. الحوارات في السنة وأثره في تكوين المجتمع - تيسير محجوب الفتاني - مركز الكتاب الأكاديمي - عمان .
٤٦. رجال ونساء أسلموا - للقس دورياني - إعداد وترجمة الدكتور: عرفات كامل العشي - مراجعة وتعليق الدكتور: عبد الستار فتح الله سعيد - المكتب المصري الحديث .
٤٧. الرسول المعلم وأساليبه في التعليم - عبد الفتاح أبو عدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب .
٤٨. روضة الناظر وجنة المناظر - موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة - قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهد: د: شعبان محمد إسماعيل - المكتبة المكية - مكة - والمكتبة التدمرية - الرياض ومؤسسة الريان - بيروت - ط ١ - ١٤١٩ هـ .
٤٩. زاد المعاد في هدي خير العباد - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي المعروف بابن القيم الجوزية - تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - ط ١٤ - ١٤٠٧ هـ .
٥٠. السنن الكبرى - أبو بكر أحمد بن ابن علي البيهقي - حيدر آباد - ط ١ .
٥١. السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلبي - دار المعرفة - بيروت .
٥٢. شرح الجامع الصغير - محمد فيض القدير المناوي - دار المعرفة - بيروت .
٥٣. شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء - نور الدين القارئ - باكستان .
٥٤. شرح النووي على صحيح مسلم - محي الدين أبو زكريا يحيى شرق النووي - دار إحياء التراث - بيروت .
٥٥. الشرق الأوسط مجتمعه وثقافته - كويلر يونغ - ترجمة عبد الرحمن أيوب - القاهرة - جمهورية مصر العربية .

٥٦. شمس العرب تسطع على الغرب - زغيريد هونكه - ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي - دار صادر - بيروت - ط ١٠ - ٢٠٠٢م.
٥٧. صحيح البخاري - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي القطب وهشام البخاري - المكتبة العصرية - بيروت.
٥٨. صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج - بيروت - ط ١.
٥٩. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي - د: يوسف القرضاوي - القاهرة .
٦٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن محمد ابن حجر - بيت الأفكار الدولية - لبنان.
٦١. الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد - أحمد عبد الرحمن البناء الشهير بالساعاتي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦٢. فضح التلمود - آي بي برايانس - إعداد: زهدي الفاتح - ط ١ - ١٣٩٤هـ .
٦٣. فنون الحوار والإقناع - محمد ديماس - دار ابن حزم - بيروت - ط ١.
٦٤. في أصول الحوار (وحدة البحوث بالندوة العالمية للشباب الإسلامي) - المملكة العربية السعودية.
٦٥. الكافي في فقه ابن حنبل - عبد الله بن قدامة المقدسي - تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٥ - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٦٦. كتاب الأبطال - توماس كارليل - ترجمة محمد السباعي - مكتبة مصر.
٦٧. الكتاب المقدس (العهد القديم) جمعية التوراة الأمريكية.
٦٨. كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج - أبو الوليد الباجي - تحقيق: عبد المجيد تركي - دار الغرب الإسلامي - ط ٢.
٦٩. كشاف القناع عن الإقناع - العلامة: منصور بن يونس البهوني الحنبلي - تحقيق: إبراهيم أحمد عبد الحميد - دار عالم الكتب - ١٤٢٣هـ .
٧٠. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء - تحقيق د: عدنان درويش ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة - بيروت .
٧١. الكنز المرصود في قواعد التلمود - ترجمة يوسف نصر الله - تقديم: مصطفى أحمد الزرقا ودكتور حسن ظاظا - دار العلم - دمشق - ط ١.
٧٢. كيف تحاور - د: طارق بن علي الحبيب - مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع - الرياض - ط ٩.
٧٣. كيف تحاور الآخرين - تيسير محبوب الفتياي - بيت الأفكار العلمية - لبنان.
٧٤. لا إكراه في الدين - الدكتور: طه العلواني - الرياض.
٧٥. لسان العرب - أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور - دار صادر - بيروت - لبنان.
٧٦. المبدع في شرح المقنع - إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي - ط ١ - المكتب الإسلامي - ١٣٩٤هـ .

٧٧. المحلي - أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الطاهري - ط دار التراث - مصر.
٧٨. مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ١.
٧٩. المستدرك على الصحيحين - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١١ هـ.
٨٠. المسند - الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت .
٨١. المعجم الفلسفي - الدكتور: جميل صليبا - دار الكتاب العربي اللبناني.
٨٢. المعجم الوسيط - إخراج الدكتور: إبراهيم أنيس، الدكتور: عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد - مطابع دار المعارف - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٨٣. مغني المحتاج إلى معاني ألفاظ المنهاج - الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - دار الفكر - بيروت - لبنان.
٨٤. مغني المحتاج - محمد الخطيب الشربيني - دار الفكر - بيروت.
٨٥. المغني - موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي الحنبلي - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠٥ هـ.
٨٦. المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني - تحقيق: محمد سعيد الكيلاني - دار المعارف - بيروت.
٨٧. مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية - محمد عدنان علي القضاة - رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة اليرموك - كلية التربية - قسم الإدارة وأصول التربية - الأردن - ١٤٢٣ هـ.
٨٨. المنقح في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني - موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي - دار فواز للنشر - السعودية - ط ١ - ١٤١٣ هـ.
٨٩. مناهج البحث العلمي - عبد الرحمن بدوي - وكالة المطبوعات - الكويت.
٩٠. المنتقى شرح موطأ الإمام مالك - القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١ - ١٤٠٣ هـ.
٩١. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل - الشيخ: ربيع المدخلي - الدار السلفية - الكويت - ط ١ - ١٤٠٦ هـ.
٩٢. منهج البحث العلمي عند العرب - جلال محمد عبد الحميد موسى - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٧٢ م.
٩٣. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد - عثمان حسن - دار أشبيلية - الرياض - ط ١.
٩٤. المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله - حمود أحمد الرحيلي - دار العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط ١ - ١٤٢٤ هـ.
٩٥. نحن والآخر صراع وحوار - ناصر الدين الأسد - دار الفارسي للنشر والتوزيع - الأردن - ط ١.

٩٦. نعم ولكن - ليليا كوني دي هان - مكتبة العبيكان - الرياض - ط ١ - ١٤٢٣ هـ .
٩٧. النهاية في غريب الحديث والأثر - الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ٢ .

فهرس الموضوعات

١	 مقدمة
١	 أسباب اختيار الموضوع
٢	 أهداف البحث
٢	 منهج البحث
٢	 خطوات البحث
٣	 المبحث الأول: الحوار النبوي (المبادئ والأساليب) وفيه ثمانية مطالب
٣	 المطلب الأول: تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح
٥	 المطلب الثاني: تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح
٧	 المطلب الثالث: تأصيل الحوار في دعوة النبي - ﷺ -
٨	 المطلب الرابع: تعرفه - ﷺ - على أطراف المتحاورين، ومراعاة أحوالهم
١٢	 المطلب الخامس: الهدف من الحوارات النبوية
١٧	 المطلب السادس: المبدأ الأساس للحوارات النبوية
١٩	 المطلب السابع: مظاهر أخلاقيات الحوارات النبوية
٢٧	 المطلب الثامن: حريات ضمنتها الحوارات النبوية
٣٢	 المبحث الثاني: نماذج حوارية من سيرة النبي - ﷺ - وفيه خمسة مطالب
٣٢	 المطلب الأول: حوار النبي - ﷺ - مع المشركين، وأثر ذلك في قبولهم
٣٦	 المطلب الثاني: حوار النبي - ﷺ - مع أهل الكتاب، وأثر ذلك في قبولهم
٤٧	 المطلب الثالث: حوار النبي - ﷺ - مع الأمم المتحضرة، وأثر ذلك في قبولهم
٥٢	 المطلب الرابع: حوار النبي - ﷺ - مع القتل، وأثر ذلك في قبولهم
٥٤	 المطلب الخامس: دعوة المنصفين من غير المسلمين إلى نشر هذه الجوانب المشرفة في حوارات النبي - ﷺ -
٦١	 الخاتمة والتوصيات
٦٣	 المصادر والمراجع
٦٩	 فهرس الموضوعات

ملخص البحث

عنوان البحث: مبدأ الحوار وقبول الآخر كما أقامه الرسول محمد - ﷺ - وعمل به.

اسم الباحث: د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي - أستاذ مشارك عقيدة ومذاهب معاصرة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز.

مكونات البحث: يتكون البحث المائل من مقدمة ومبحثين: في المقدمة تناول الباحث أهمية الحوار، وبيان سعي الجميع

إلى إعداد وسائل مختلفة للتواصل حيث بات قبول الآخر والانفتاح الفكري ضرورة للتعايش، مع بيان أن رسالة نبينا محمد - ﷺ - تنصوي على أجمل نماذج للحوارات يمكن أن يهتدي إليها البشر ويستفيدون منها، أما المبحث الأول: الحوار النبوي (المبادئ والأساليب) وفيه ثمانية مطالب، المطلب الأول: تناول الباحث فيه تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح، والثاني: تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح، مع بيان الفرق بين الحوار والجدل، والثالث: تعرض الباحث: لتأصيل الحوار في دعوة الرسول - ﷺ - واستخدام الحوار في جميع مجالات الدعوة والبلاغ، والرابع: وضع الباحث تعرف الرسول - ﷺ - على أطراف المتحاورين، فلذا كان يتنوع في استخدام المناهج الدعوية من حسية وعقلية ووجدانية ونفسية وغيرها، أما الخامس فذكر الباحث الهدف من الحوارات النبوية وكان من أهمها: الإقناع بالإسلام، والتثبيت على الإيمان والتعويد على التسليم لأوامر الله - تعالى - وتيسير الطاعة لله - تعالى - وغيرها من الأهداف، أما السادس فتعرض الباحث فيه للمبدأ الأساس للحوارات النبوية من عدم التعرض لحرية الأفراد إلا عند الضرورة القصوى، أو لتحقيق مصلحة لهم، أما السابع فتحدث عن مظاهر أخلاقيات الحوارات النبوية ومن أهمها: عدم إكراه الطرف الآخر أو إيقاعه في الأذى - قبول التحدي الثقافي من الطرف الآخر - السيطرة على المشاعر في مواقف الغضب - الترفع عن محاوره الجاهل المكابر - قبول الرأي المخالف - نبذ العنصرية والتعصب - الحرص على السلام الاجتماعي - التخطيط المحكم لإدارة الحوار - الحوار التشاوري وغيرها كثير، أما الثامن فتعرض للحريات التي ضمنتها الحوارات النبوية ومنها: اختيار الدين والدرجات والمراجعة، أما المبحث الثاني: نماذج حوارية من سيرة الرسول - ﷺ - وفيه خمسة مطالب: المطلب الأول ففيه حوار النبي - ﷺ - مع المشركين وأثر ذلك في قبولهم، مع عرض لبعض الحوارات التي توضح مدى سعة حلمه ولينه وسماحته وقوة علمه وإدراكه للمواقف، والثاني فوضح حوار النبي - ﷺ - مع أهل الكتاب وأثر ذلك في قبولهم فأظهر مدى إفراد النبي - ﷺ - لليهود والنصارى مساحة كبيرة جداً من التباسط والرفق واللين والإحسان والاهتمام بهم والتجاوز عنهم في كثير من المواقف، والثالث: تعرض لحوار النبي - ﷺ - مع الأمم المتحضرة وأثر ذلك في قبولهم، وبين أنه - ﷺ - قد أنشأ لوناً من الحوار الحضاري لنشر الدعوة الحقّة من خلال المكاتبات، ومدى تأثر بعضهم ودخولهم في الإسلام، أما الرابع فتناول حوار النبي - ﷺ - مع القتل وأثر ذلك في قبولهم للدين الإسلامي، أما الخامس فتعرض لدعوة المنصفين من غير المسلمين إلى نشر هذه الجوانب المشرفة في حوارات النبي - ﷺ - مع ذكر بعض نماذج من أقوال غير المسلمين من الشرق والغرب توضح مدى حاجة البشرية لدين كالدين الإسلامي، ومدى الأخلاق الفاضلة التي تميز بها النبي - ﷺ - حتى حول الأعداء إلى أصدقاء، ثم ختم الباحث البحث بخاتمة تناولت بعض الفوائد، ومن ثم توصيات وبالله التوفيق.